الى القارئ

لا .. يا أستاذ سهيل !

بقلم : البشير بن سلامة

إن دور المجلات الادبية والفكرية فى إبراز أجيال من الادباء والكتاب هام جدا وهذا معروف لا فائدة فى التأكيد عليه . فمن لا يذكر مثلا مجلة أبولو ومجلة الرسالة فى مصر ومجلة العالم الادبى ومجلة المباحث ومجلة الفكر فى تونس ومجلة الاديب ومجلة الآداب فى لبنان والبصائر فى الجزائر وغيرها من المجلات الاخرى . وسواء عمرت هذه المجلات طويلا وواكبت أجيالا من الادباء والقراء أو دامت ردحا من الزمن ، فان أثرها لا يمكن جحده ولا يعوضه لا الكتاب ولا الصحيفة السيارة .

فالمجلة الدورية تساير الحياة الفكرية والادبية فى نبضاتها وتقلباتها وطفراتها وتعيش حيانيا عهود الازدهار وفترات الركود وتخلق أجواء من الحيوية والحركية تعود دائما بالفائدة على الادب والفكر ، وإن أثر المجلات يزداد تفاقما وحدة عندما تدخل المجتمعات طور المخاض وتتطلع الجماهير الى التيارات الفكرية الجديدة وتصبو الى صنع مصيرها بالاستناد الى الآراء والافكار والمفاهيم التى تراها ألصق بكيانها وأقرب الى ذاتها .

والمجلة الحق كالكتاب تقوم بدور معدل لما تكيله الوسائل الاعلامية الاخرى من فيض الاخبار والمعلومات التى يغرق فيها الجمهور من دون أن يقدر على التمييز بين الغث والسمين والطيب والخبيث والصالح والطالح خاصة وانها تتجه دائما الى القراء الذين لهم تأثير على أصناف من المجتمع متغايرة ومحتاجة الى من يجيبها عن مواطن حيرتها ويملأ فراغ أيامها .

ولو أردنا تعداد ما تقوم به هذه المجلات من أدوار لما وقفنا عند هذا الحد ولكن غرضنا ليس هذا إذ نحن نريد أن نتحدث عن مجلة عربية أخرى معروفة فى الساحة الادبية أثرت التأثير البالغ فى الاجيال المثقفة منذ ما ينيف عن ربع قرن ونعنى مجلة الآداب البيروتية .

وما المانع أن تتحدث مجلة الى مجلة وتفتح بينها وبين زميلتها حوارا لا يكون الا في فائدة القارىء العربي . خاصة اذا كان هذا الحديث رفيقا لطيفا ولكنه في آن واحد جوهري ، عميق صريح يتناول مسائل مصيرية بالنسبة للكائن العربي ؟

وما المانع أيضا أن يكون هذا الحديث متجها الى صاحب مجلة الآداب صديقنا الاستاذ سهيل ادريس لنهمس في أذنه ببعض الافكار والآراء التي أوحتها الينا شهرياته الصادرة في العدد الخاص بمؤتمر الادباء والكتاب العرب (العدد 12 ـ 1979) ؟

أعتقد ان الاستاذ سهيل إدريس لا يرى مانعا في ذلك وقد عنون شهرياته في هذا العدد بجملة تحفز على توخي الحرية في التعبير اذ هو يدعو الى انشاء « جمعية الدفاع عن حرية التعبير » .

أي انسان حر لا يوافق على هذه الدعوة ولا يشد على يد الاستاذ سهيل ادريس بكل حرارة ويقول له : « أنا معك على طول يا أستاذ » .

ولكن ليسمح لي الاستاذ بأن أقول له برفق : إن في مقاله ، كثيرا ، لا محالة من الحقائق التي لا أمانع في التسليم بها ولكن فيه أيضا الكثير والكثير من الاخطاء في التحليل والتقدير .

صحيح أن الاستاذ « أحد الذين تابعوا نشاط الاتحاد العام للادباء العرب منذ انشائه » .

وصحيح أنه « شارك في أعمال مؤتمراته جميعا اما كامين عام مساعد للادباء العرب أو كرئيس لوفد اتحاد الكتاب اللبنانيين حتى المؤتمر العاشر لاتحاد الادباء العرب » .

وصحيح أيضا أن « اتحاد الادباء العرب لا يستطيع أن يوفر أكثر من التقاء الادباء وتعارف من لم يتعارف منهم وتداولهم في الشأن العام والشأن الخاص وتبادل الشكوى أحيانا أخرى » .

ولكن ليس من الصحيح أن « لا يستطيع الاتحاد أن يقوم بأكثر من تقديم أبحاث ودراسات كلاسيكية ذات موضوعات مقيدة موضوعات هادئة غير شائكة ، موضوعات لا تثير حساسية أحد ولا تحدث أي احراج لأي إنسان! ».

كيف يقول هذا الاستاذ وهو الذي يقدم لهذا العدد من الآداب الذي يحتوي في صفحاته الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة على قرارات المؤتمر العام الثاني عشر (العنوان من وضع مجلة الآداب) لا توصيات فقط وفيها من الموضوعات التي أعتقد أنها « ليست هادئة ولا غير شائكة بالمرة » ثم لا بد أن الاستاذ يعرف وهو الذي نشر الدراسات في الصفحات السبعين من عدد

الآداب هذا وقرأها لا شك ، أن فيهـا من الافكار والآراء ما « يثير كثيـرا من الحساسيات » و « يحدث احراجا » لكثير من الناس .

وإذا كان الاستاذ غير راض عنها ويعرف أنها لا تخدم مبادئه وأهدافه فلماذا هو ينشرها في مجلته ويمكنها من أن تشيع وتكتسح الاقطـار العربية ؟ أو على الاقل كان عليه أن ينبه الى خطورة كل موضوع لا يرضاه ويحذر القارىء منه اذا هو لم يشهر بالكاتب والمحتوى ، لماذا يا أستاذ ؟ ألا تحدثنا بكـل صراحة عن همومك كصاحب مجلة وما تقاسيه من « عناء » « عفسا عـلى قلبـك » كما نقول بالدارجة التونسية لضمان ديمومة « الآداب » ورواجها وانتشارها وربحها ولماذا لا ؟ نحن نلتمس لك عذرا بل أعذارا يا استاذ ، وكل اصدقائك يا استاذ التمسوا لك ويلتمسون عذرا بل اعذارا ويسكتون عن كل «نشيش» رغبة في أن تثبت مجلة الآداب وتدوم خدمة للحرف العربي ، وقد خدمته كثيرا وطويلا ما في ذلك شك .

وليس بالصحيح أن تقول يا أستاذ « إن الاتحاد شانه في ذلـك شان أيـة مؤسسة تابعة للدولة ، يتكون من اتحادات محلية مرتبطة بنظام الدولة وكل اتحاد بالتالي ، مرتهن لتوجهات الدولة على الصعيد الثقافي بـل ان كـل وفد يتكون مبدئيا من الاعضاء الاكثر ولاء للنظام وارتباطا به ! في كل مؤتمـر من مؤتمرات الادباء العرب كان كل وفد يأتي مزودا بـ « التوجيهات » العامة ان لم يكن بالتعليمات الدقيقة » .

ليس بالصحيح أن تقول هذا يا أستاذ لانه تصريح بقاعدة ليس فيها استثناء واحد ليثبتها بل لها استثناءات واستثناءات بل لعلها كلها استثناءات فلنبدأ مثلا باتحاد الكتاب اللبنانيين هل هو مؤسسة تابعة للدولة اللبنانيـة ؟ وهل أنك عندما كنت رئيسا له تلقيت « التوجيهات » وكنت « أكثـر ولاء للنظـام وارتباطا به » ؟ وهل تزودت « بالتوجيهات العامة ، إن لم يكـن بالتعليمـات الدقيقة » آنذاك ؟ أنا لا أظن على كل حال ولا أعتقد أن الامر كذلك الآن .

ثم هل أن اتحاد الكتاب المغاربة تنطبق عليه هذه القاعدة التي ذكرتها ؟ أنا لا أعتقد ذلك ولا أحد أيضا . وكذلك بالنسبة لأغلب الاتحادات ولكـن ليس لي تفاصيل عن ذلك ولكن يمكن لي أن أجزم بأن اتحاد الكتاب التونسيين مؤسسة حرة بأتم معنى الكلمة وتنتخب هيئتها بكل حرية ناهيك أن هذه الهيئة المنتخبة في هذه السنة تعكس جل التيارات الفكرية والادبية المنتجـة في تـــونس . وأهمس في أذنك همسا رفيقا فاقول : إن رئيس الاتحاد وهو الاستاذ محمـد مزالي وزير التربية القومية تسلطت عليه ضغوط كثيرة ليعيد ترشحه في هذه السنة واقترح أحد الاعضاء وهو غير معروف « بولائـه للنظـام » أن يصوت

الحاضرون على ترشحه بالاجماع وكان ذلك . لأن الاستاذ محمد مزالى معروف منذ الخمسينات بمواقفه وتمسكه بالمبادىء فى تونس أو فى الاقطار العربية سواء كان وزيرا أو أستاذا أو مواطنا بسيطا . وهذا تعلمه حق العلم وتعلم جهاده فى سبيل التعريب ونضاله من أجل حرية الفكر خاصة فى صلب مجلة الفكر التى هو مؤسسها ومديرها .

وإنى لا أعلم مرة واحدة وأنا من الاعضاء المؤسسين لاتحاد الكتاب التونسيين وانتخبت للمرة الخامسة فى الهيئة المديرة أننا تلقينا أى تعليمات من أية جهة رسمية بل ان قراراتنا نناقشها فى صلب الهيئة ونتخذها بالاغلبية وبصورة ديمقراطية حسب ما تمليه علينا ضمائرنا وشعورنا الوطنى

لماذا اذن هذا التعميم يا أستاذ ؟ ولماذا هذا التجنى ؟ هذا اذا فرضنا أن الارتباط بالدولة من قبيل التهمة ؟ وأنا اذ أقول لك يا استاذ : إن هذا الامر هو من خصائص كل اتحاد ، فانى اريد أن أهمس فى اذنك واقول : إن ما درجت عليه بعض الاوساط من الصاق « تهمة » « رسمى » و « الولاء للنظام » وغير ذلك من هذه « التهم » إنما هو من مآسى «الفكر العربى المعاصر» الذى يريد أن يلهى خاصة الشباب « بلعبة خطيرة » رماها فى « الساحة العربية » أعداء « الأمة العربية » واغتر بها الكثيرون .

ذلك أن آفة الأمة العربية هى أنها وصلت الى درجة من التفتت والتشتت والفرقة جعلتها غير قادرة فى أغلب الاحيان على بناء الدولة الحقيقية بمؤسساتها الديمقراطية وبهياكلها الاساسية الضامنة للحرية والحياة الكريمة. ونحن نعرف أن النظم الديمقراطية المتقدمة التى ضمنت حدا أدنى من الحرية والكرامة لمواطنيها ماديا ومعنويا هى التى دعمت الدولة وركزتها على أسس متينة من القانون فى ظله يعيش الناس كلهم سواسية واعنى هنا الدولة الديمقراطية لا الكلاتية Totalitaire . وهى التى يمكن أن تضمن باستقرارها وحيويتها وطمأنينتها التقدم للمواطنين والعدالة وتتيح بالحوار فى صلب المؤسسات والكفاح إن لزم ، لا بالعنف لان العنف يجلب العنف ويفضى الى الدكتاتورية ، تتيح للحضارة والعمران والمدنية أن تدوم .

وهكذا فان وجها من وجوه مأساة الفكر العربى هو عجزه عن بناء هذه الدولة ومسؤولية الكتاب وأصحاب القلم فى هذا كثيرة وليسمح لى ، حضرة الاستاذ ، أن اقول له : إنه مسؤول كغيره بل ربما أكثر من غيره بوصفه صاحب مجلة،عندما لا يقاوم ــ كما يجب فى رأينا ــ التيارات الفوضوية بل يسمح للفكر « الفوضوى » أن يترعرع فى مجلته فساهم ــ من حيث يشعر أو لا يشعر ــ فى تكوين شباب نراه عندما يضطلع بالمسؤولية فى بعض البلدان العربية ينتج

ما يقوض الدولة فى صلب الدولة التى يضطلع بمسؤوليتها ويشيع الفوضى باسم الثورية والشعبية والجماهيرية وبالتالى يقر الدكتاتورية والكلاتية كنظام فيطفو على السطح كل مغامر ومتاجر بالقيم وانتهازى فيقضى على الحرية وعلى الديمقراطية . وهذا فيه غنم لأعداء العرب ، الغنم المادى والمعنوى أى الحضارى.

ثم اسمح لى ، يا حضرة الاستاذ ، أن اناقشك موضوعا آخر هو ما ذكرته من موقفك فى تونس فى شهر مارس سنة 1973 . أنت تعرف يا أستاذ اننا كنا نشاطرك الرأى فى تطوير ما دأب عليه الاتحاد العام للادباء العرب وأنت تعرف أن القرارات حسب النظام الداخلى تؤخذ فى اجتماع المكتب الدائم الذى يضم رؤساء الوفود وان رايك لم ياخذ به احد حينذاك وان الجلسة العامة الختامية إنما هى شكلية لاطلاع الحاضرين على ما استقر عليه الرأى فى المكتب الدائم . وأنت تعرف أن الاستاذ محمد مزالى لم يعطك الكلمة لأنه لم تجر العادة ان تناقش القرارات فى مثل تلك الجلسة ولانه بالخصوص مرتبط بقرار رؤساء الوفود ولو حرف هذا القرار واعطاك الكلمة لتكرر فى الجلسة العامة ما قلته فى جلسة رؤساء الوفود ولطلب هؤلاء جميعا بدورهم الكلمة ولما انتهى المؤتمر . الا ترى انك تجاوزت الحد عندما انتقلت من هذا المستوى اى تقاليد الجلسات الختامية الى قضية حرية القول وكبت الحرية ؟

ثم كلمة أخيرة يا أستاذ ، بالنسبة لهذه الجبهة التى كونتها ولا أعرف هل أنت « رئيسها » أم من ؟ انت تعرف . يا أستاذ ، ان المكتب الدائم للادباء العرب المجتمع أخيرا فى بيروت نادى باكثر مما ناديت به فى بيان جبهتك هذه فلماذا تشتيت الصفوف هذا ؟ ولماذا سوء الظن بالادباء والكتاب المنضوين تحت لواء الاتحاد العام للادباء العرب . أليس من الاصوب حض الجميع على تطبيق تلك المقررات والبدء بالكفاح الحقيقى فى هذا المجال من خلال مجلتك فتنشر مثلا فى الاعداد القادمة من الآداب قائمة الادباء والمفكرين المسجونين أو المقتولين أو الممنوعين من مغادرة أقطارهم أليس معاضدة الادباء فردا فردا واسما اسما أنجع من التلويح بالشعارات العامة ، أليست الشجاعة الفكرية فى التنصيص لا فى التلميح !؟

هذه همسات ، يا حضرة الاستاذ ، أوحت لى بها شهرياتك ولم تتعد ، صدقنى ، الهمسات ، وانى التمس منك باسم ما تدعو اليه جبهتك من حرية التعبير ، ان تنشر هذه الهمسات بمجلتك .

البشير بن سلامة

أزمة الابداع الفكري في العالم العربي *

بقلم : محمد مزالي

هذا استجواب أجراه الصحفى عاطف مصطفى المحرر بجريدة الراية القطرية مع الاستاذ محمد مزالى عندما زار امارة قطر اخيرا (الراية الخميس 17 يناير 1980) :

« الحديث مع مفكر كبير مثله ، بقدر ما هو أمل من آمال أى صحفى عربى ، الا أنه أيضا متعة لا تعادلها متعة .. متعة روحية وفكرية وثقافية ... وهكذا ذهبت للقائه وأنا أمنى النفس بهذا اللقاء الشيق ، والذى أقدم لكم هنا خلاصته ، لتكتمل الفائدة وتعم . الحديث كان مع المفكر والمثقف التونسى الكبير الاستاذ « محمد مزالى » وزير التربية القومية فى تونس الشقيقة ، والذى كان فى لقاء صفاء وفكر .. فى الدوحة خلال هذا الاسبوع .. فجرت خلاله عديد من القضايا الهامة ، وقد أجاب بصراحة الباحث والعالم المثقف ، وكانت حصيلة هذا اللقاء الممتع معه .

● قلت لسعادة الوزير التونسى : ما قولكم حول المشاكل المثارة فى الفكر العربى المعاصر « بين الاصالة والتجديد » .. وما هو الحل ، وهل نتجه الى التراث ام الى الغرب ؟..

ـ قال : اننى ـ شخصيا ـ لا اعتقد أنه محكوم علينا بالاختيار بين التمسك بالتراث او الاتجاه الى الغرب ، والمسألة تنحصر فى التوفيق بين التراث والمعاصرة ، أى بين القديم والجديد ... بين الماضى والمستقبل . وهناك فريق يتمسك بالتراث بدعوى الاصالة ، وفريق ينبهر بالغرب ، ويرى ان التقدم مشروط بمحاكاة الغرب . واعتقد ان كلا الفريقين مخطىء .. فالموضوع يجب ان نتاوله على النحو التالى :

كيف نحافظ على شخصيتنا ، ونتمسك بمقوماتنا الحضارية ، وفى نفس الوقت نعيش عصرنا ، ونأخذ باسباب العلم والتكنولوجيا ..

فاذا تمسكنا بلغتنا العربية وطورناها ، وجعلناها تعبر عن كل المفاهيم والمصطلحات العصرية ، واذا تمسكنا بديننا الاسلامى الحنيف من حيث هو عقيدة وحضارة فى آن واحد ، وعرفنا كيف نستوحى من تراثنا القدرة على التلاؤم مع عصرنا من ثقة فى النفس ، وتفاؤل بالمستقبل ، وثبات عزيمة ، وروح عمل جماعية وتضامن .. اذا استطعنا ان نستوحى هذه القيم من تراثنا المجيد سهل علينا الوقوف فى عالمنا المعاصر على أقدامنا ، واستطعنا كذلك أن نقتبس من العالم المتقدم اسباب القوة الكامنة فى العلم والتبحر فيه والاحاطة بالتكنولوجيا ، واستطعنا أيضا أن نضع مناهج عصرية علمية فى تعليمنا فى كل الاقطار العربية،بحيث نكون أجيالا جديدة تتكلم لغة واحدة،وترنو الى آفاق واحدة ، وتهتدى الى طرائق عمل واحدة ، وتعى الوعى المتبصر مسؤولياتها القومية .

بكل ذلك نخرج مما يبدو اختيارا حتميا ، أى نفلت من سلبية الانغلاق على النفس ونتخلص كذلك من الانبطاح امام الغير ، والانبهار به وتقليده .

وان المفكرين العرب لمطالبون بتعميق معطيات هذه القضية ودرسها . وتخطيط الطريق امام المسؤولين فى كل المجالات .

● قلت لسعادة الوزير التونسى : وما هى العلاقة بين الشرق والغرب وكيف تحل هذه المشكلة ؟

ـ قال : فى الوقت الحاضر ، فان العلاقة بين الشرق والغرب يغلب عليها التوتر والتنافس الناتجان بدورهما عن الجهل المتبادل ، وكذلك بالخصوص عن تضارب المصالح ، لان الغرب يحرص على ضمان نسق تنميته الحالية ، وهو أمر لا يتوفر الا باستمرار الهيمنة على العالم الثالث . وعلى العالم العربى بصفة اخص، بحيث يسعى الى اقتناء المواد الاولية باثمان بخسة ، ثم يبيعنا المواد المصنعة باثمان مرتفعة ، ويسعى كذلك الى الاحتفاظ بأحدث اكتشافات التكنولوجيا حتى لا نتصنع ، واذا تصنعنا ، فلا نقدر على المنافسة .

ولكن هذه النظرة من طرف الغرب قصيرة ، لان غضب الشعوب المستضعفة وتمردها على الفقر والخصاصة ينتج عنه أحداث وانقلابات ، وتقلبات ليست

كلها رغم الظواهر لفائدة الغرب ، ولذلك كم نود أن يبذل الغرب وهو الاقوى ماديا اليوم مجهودات اضافية كي يخفف من وطأة التفاوت الاقتصادى والاجتماعى الموجود بينه وبين بلاد الشرق .

لكن للعلاقة بين الشرق والغرب بعدا حضاريا وثقافيا هاما ، فلو توفق الشرق والغرب الى طى صفحة الماضى ، وتجاوز مخلفات الحروب الصليبية ، والحروب الاستعمارية ومركبات التفوق ، لامكن بذلك ايجاد الظروف المناسبة للحوار الصحيح السليم ، ولامكن للشرق والغرب أن يقدر كل منهما قيم الطرف الآخر حق قدرها ، وبذلك يمكن التعاون السليم ، ويمكن لهؤلاء ولأولئك أن يسيروا خطوات فى طريق الصداقة الحق والسلم الدائمة .

● **قلت للاستاذ محمد مزالى وزير التربية القومية التونسى : كيف نحقق وحدة الثقافة العربية ، مع وجود الانقسام السياسى القائم بين الدول العربية المختلفة ؟**

ـ قال : نستطيع ان نحقق هذا المطلب القومى الخطير بعدة وسائل ومخططات ، اكتفى فى هذا المقام بالتعرض فقط الى توحيد مناهج التعليم .

فلو استطعنا رغم خلافاتنا السياسية العرضية أن نتفق على محتوى تعليمى واحد ، وخاصة فى العلوم الانسانية من تاريخ وجغرافيا وفلسفة وعلم اجتماع وغيرها .. والتزمنا جميعا بتطبيق هذه البرامج الواحدة الموحدة ، فاننا سنصل ولو بعد عشرة او عشرين عاما الى تكوين اجيال عربية تتكلم لغة واحدة بكل معانى الكلمة .

وان لمنظمتنا العربية للتربية والثقافة والعلوم مسؤولية كبيرة فى هذا الصدد . وانى اعلم انها وضعت استراتيجية تربوية عربية ، واود ان يشرع فى تنفيذها بكل موضوعية وامانة .

ومن باب الصراحة أقول : ان الذى قد يحول دون تحقيق هذا الهدف الاسمى هو سلوك بعض الانظمة السياسية التى يعوزها التواضع ، وهذا اقل ما يقال فيها ، فتعتقد ان بقية الاقطار يجب ان تنسج على منوال نظمها التربوية ، ولذلك يجب تجاوز هذه الحساسيات ، والتحلى بالتسامح والصبر ، وكذلك بطول النفس .. ومن سار على الدرب وصل .

● قلت لسعادة الوزير التونسى : مجلة الفكر التى توليت إدارة تحريرها لفترة طويلة .. ما هى الخطوط الرئيسية التى حاولتم ابرازها فى الثقافة العربية المعاصرة ؟

ـ قال فعلا لقد أسست مجلة الفكر سنة 1955 ، ولا أزال أديرها الى اليوم ، وهى مشروع فردى ليست له أى علاقة بالحكومة أو أى جهة رسمية .. وكان الحافز على بعثها عندما لاح فجر الاستقلال ، هو دعم النهضة السياسية بنهضة فكرية ثقافية ، وكذلك وبالخصوص خدمة الثقافة العربية فى تونس بعد أن أنهك الاستعمار الفرنسى الاستيطانى الامة التونسية طيلة ثلاث ارباع قرن ، فحاول مسخها وفرنستها والقضاء على لغتنا العربية ، وديننا الاسلامى الحنيف. فكان بعث مجلة « الفكر » حينئذ يرمى الى نصرة قضايا الثقافة القومية ، وتكوين اجيال مؤمنة بشخصيتنا الاصيلة ومعتزة بانتسابها الى الامة العربية ، وهذا ما نجحنا فيه والحمد لله .

وقد تخرج من مجلة الفكر اجيال واجيال من الادباء والمفكرين . وانا احمد الله أن وفقنى فى القيام بهذا الواجب مع نخبة من زملائى واخوانى فى الحرف . وانى معتز اليوم بالمنزلة المرموقة التى تحظى بها « الفكر » فى الوطن العربى ، وباصدقائها الكثيرين الذين يحبونها ، ويقدرون الرسالة السامية التى لا تزال وستظل بحول الله تضطلع بها .

● قلت لسعادة الوزير : بصفتكم أحد مفكرى الامة العربية ، ورئيس اتحاد الكتاب التونسيين ، ما الذى تقوله حول قضية الابداع الفكرى العربى ، وحرية الصحافة ، وضمان الحياة الكريمة للاديب والمفكر العربى ؟

ـ قال الاستاذ محمد مزالى : أتكلم بصراحة من وجهة نظرى ، وأرجو مخلصا ان اكون مخطئا .. فأقول : ان الابداع الفكرى فى العالم العربى يمر بأزمة ، بل بفترة انحسار لاسباب كثيرة يطول شرحها ، وكل ما أرجوه هو أن يمنح الاديب الحرية الواعية للخلق ، وأن تشجع الانظمة الرسمية كافة الطاقات على البروز دون تعصب لمدرسة أدبية دون أخرى ، أو لمذهب ايديولوجى دون آخر ، ان المستقرىء لاحوال الفكر العربى اليوم قد تأخذه الدهشة عندما يقارن بين الاسماء اللامعة التى كانت تملأ الساحة العربية فى النصف الاول من القرن العشرين ، وبين افتقار هذه الساحة اليوم نسبيا الى

اسماء تفرض نفسها وتستقطب الانتباه ، وتجذب حولها الشباب فى أى فرع من فروع الفكر ..

وكم قاسى الفكر وقاسى الادب من المفاهيم الخاطئة التى الصقت بالالتزام ، وكم كانت جناية بعض المسؤولين كبيرة عندما حاولوا تسخير بعض الخلاقين لدعم سياساتهم ، ذلك أن ازدهار الفكر لا يكون الا فى جو ديموقراطى ، وفى مناخ نفسى ملائم ، لكن قد توجد بعض اسماء ، او بعض مفكرين ناشئين لم يتيسر لى التعرف عليهم او القراءة لهم ، وهو أمر لا بد أن يقع اليوم او غدا لان طبيعة الاشياء تأبى أن تصاب أمة نعرف ما هو تاريخها وما هى أمجادها . ونعرف ما كانت ، وما هى عليه اليوم رسالتها فى الدنيا ، ان تصاب بالعقم والقحط .. ونذكر هنا قول الشاعر العربى :

ما أضيق العيش لولا فسحة الامل

اما ضمان الحياة الكريمة للاديب والمفكر ، فلا بد من ضمان الاسباب الدنيا لكرامة الاديب ، واذا اقتضت ظروف السياسة وصروفها احيانا توخى بعض المبادرات ، أو سلوك بعض المنعرجات ، فان على المسؤولين أن يحرصوا على الا يستدرج الكتاب ، أو بعض المفكرين نحو الهزيمة الروحية التى هى شر من الهزيمة السياسية ، وان يحافظوا على سمعة هؤلاء الكتاب بحيث يبقون مهما ادلهمت السحب واستعصت الحلول ، منارات تضىء الاجيال ، ومراجع حية تهدى الى سواء السبيل فى درب الامة العربية نحو المجد ونحو المناعة والسؤدد .

● **قلت للاستاذ محمد مزالى الذى تحمل عبء وزارة التربية القومية ثلاث مرات .. هل يسمح سعادة الوزير بأن يعطينا لمحة عن النهضة التعليمية فى تونس ، والى أى مدى وصل تطوير المناهج ومسايرتها للتقدم الثقافى والحضارى ؟**

ــ أجاب قائلا : لقد سار التعليم فى تونس أشواطا كبيرة ، وأصبح اليوم عدد المرسمين فى المدارس بكل درجاتها مليونا وثلاثمائة الف ، بحيث انه يوجد اليوم تونسى من بين خمسة فى المدرسة ، ويخصص الميزان التونسى للتربية القومية 33 ٪ من الميزانية ، ويخصص 8،5 ٪ من الدخل القومى للتعليم وهى نسبة كبيرة فى مستوى العالم .

ان الحكومة التونسية ، والشعب التونسى خصصا هذا المجهود للتعليم ، لاعتقادهما ان تعميم التعليم ورفع مستواه هما الكفيلان برفع مستوى الانسان التونسى الذى يحقق بدوره الخروج من التخلف .

ونحن نعتقد ان التخلف الذى تقاسى منه شعوب العالم الثالث ، ليس تخلفا اقتصاديا أو ماديا ، بل هوَ تخلف بشرى . فبقدر ما نعلم الانسان ونفتق ملكاته ، ونهذب تفكيره ، نوفق الى اعطائه السلاح الفعال لتغيير منزلته ، ورفع شأنه ، ونكسبه الوسائل الكافية ليقدر على تكسير سلاسل الفقر والجهل والمرض ، وتجاوز التواكل والتخاذل والرضا بالحد الادنى .

ان التعليم التونسى اليوم ، يتجه بعد ان ربح معركة الكم ، الى الفوز بمعركة الكيف ، وهذا يتمثل خاصة فى المحورين التاليين :

1 ـ تركيز الاصالة والسعى الى أن يساهم التعليم التونسى فى خلق أجيال تونسية مؤمنة بنفسها ، مؤمنة بأمتها ، معتزة بانتسابها الى الامة العربية الاسلامية .

2 ـ التفتح على المحيط الاجتماعى والاقتصادى ، والملاءمة بين التكوين وآفاق التشغيل..أى احتياجات المجتمع ، ليس فقط الآن بل كذلك فى المستقبل وهذا معناه انه يجب ان يتحقق ما أسميه بالتراشح أو التناغم والتجاوب بين رجال التربية والتعليم ، وبين القائمين على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية

● قلت لسعادة الوزير التونسى : ما هو التصور الذى ستسفر عنه هذه الزيارة لدولة قطر ، وما الذى يمكن أن يتم من تعاون بين البلدين الشقيقين فى المجالات التربوية والثقافية ؟

ـ قال : هذه أول زيارة اقوم بها الى دولة قطر ، استجابة الى الدعوة الكريمة التى توجه بها الى سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية والتعليم، وأرجو أن تمهد هذه الزيارة ، والزيارة التى سيقوم بها معاليه الى تونس فى وقت لاحق الى تعاون تربوى وثقافى بين البلدين يكون اوسع واشمل مما هو موجود الآن ... وهذا ليس على همتنا جميعا بعزيز ...

وبعد هذا الحوار الممتع مع سعادة الوزير العالم ، فان هناك الكثير من القضايا الفكرية والتربوية ، والثقافية ، نرجو أن تتاح لنا فرصة أخرى للتعرف على رأيه فيها ، فقد كان برنامج زيارته حافلا باللقاءات الكثيرة والزيارات المتعددة ليشاهد التطور الحضارى الذى تعيشه قطر فى هذه الايام .

سياسة

شعر : عبد العزيز قاسم

(عندما يصبح الارهاب دوليا ، عندما يحترف التخريب نظام قائم وعندما تسلك بإزائه الانظمة الأخرى سياسة الجبن والانتهازية ...)

— 1 —

دق الجـرَسْ
كالنغمة النشازْ
في جوقة الغلسْ
طار النعاسُ المختلَسْ
من مقلتيْ من لا ينامْ
رغمَ يقظة الحرَسْ
ورُفِعَ الجهازْ باحترازْ !
— معذرة يا سيدي قد جاءَ في الانباءْ
ان انقلابا جَدّ في المساءْ
لم يتّضحْ لَهُ انتماءْ
أطاحَ بالنظامْ
في حدودنا الشرقية
وفي بيان اصدرتْهُ اللجنة الوقتية
كاتبُهُ غيرُ غريبْ
عن مُعْجَم الغريبْ
في مُفردات العَدْلِ والحريّة
نماذجُ اشتقاقْ
تُزوّجُ الاضدادَ حبّا في الطباقْ
ومنطقٌ عجيبْ
يقولُ : لا وعدَ بلا وعيدْ

ولا يقُومُ العدلُ الا بالحديد
وليسَ ثمّةَ انعتاقْ
بدون شدّ للوثاقْ
لكنَ يقولُ مصدرٌ عليمْ
لم يستتبَ الأمنُ والنظامْ
ولم تزل بعضُ السهامْ
في جُعْبةِ الحُكْمِ القديمْ»
قالَ الذى في يده يرتجف الجهاز :
– الموقفُ الحكيمْ
يُحتّمُ الحيادَ لانحيازْ
وحالَمَا تتَّضحُ الوضعيّه
أرْسِلْ الى الغالبِ برقيّه»

— 2 —

– يا سيدى هناكَ لو سمحتَ أمرٌ ثانْ
يَشْغلُ بالي من زمانْ
فَجارُنا المختص في تربية الكلابْ
ومَنْ لهُ في كُل جرحٍ نابْ
شجّعَهُ السكوتُ والسماحْ
فصَعّدَ النُّباحْ
بالليل كانَ يحتمي واليومَ لا يخشى الصباحْ»
قال الذى يريد ان يرتاحْ :
– هل قالَ فينا نحنُ ما لا نرتضي »
– كلا ولكنْ انتَ أدْرَى بأذاهُ المرَضي
بَلْ إنه قد نالنَا بالغَمْزِ والتلميحْ»
قال الذى يراوغُ الصراحه :
– الموقفُ الصحيحْ
يُحتّمُ الهدوءَ لا الفصاحه
فلا نردّ الفعلَ حتّى يبدأ التصريحْ (يتبع)

جنون سقراط..

قصة : الطاهر قيقة

— 1 —

كريتون (1) : ياكليني‍اس (2) هل رأيت سقراط قادما الى ساحة السوق فى هذه الساعة المبكرة من النهار ، على خلاف عادته ؟

كلينياس : نعم يا كريتون انى رأيته هو ذا يمشى فى الطريق رافعا رأسه مثبتا خطاه فى الارض رغم ثوبه المرقع ورقة حاله . منظره دميم مفزع . هل تستقر الحكمة فى هذا الوعاء ؟

---

(1) **كريتون** : أحد تلامذة سقراط واعز صديق له . عاشره طول حياته وساعده بفضل ثروته الواسعة على العيش . عرض كريتون على سقراط الفرار من السجن عندما حكم عليه بالاعدام فأبى لانه رفض أن ينتهك حرمة قوانين المدينة ولو كانت جائرة فى حكمها وهو موضوع حوار افلاطون بعنوان « كريتون » وكان من بين صحبه الذين كانوا بجانبه عندما تجرع السم الذى قدمه له قضاة أثينا المكلفون بتنفيذ الحكم بالاعدام المسلط عليه واستمع معهم الى أقوال سقراط وهو ينتظر الموت (انظر حوار افلاطون بعنوان : «فايدون») .

(2) **كلينياس** : شاب ثرى ينتمى الى عائلة ماجدة فى أثينا تعد من بين افرادها ابن عمه الشهير ألكيبيادس ذلك القائد الطموح المغامر الذى جر لوطنه البلاوى خاصة بزحفه على صقلية سنة 414 قبل الميلاد الذى آل الى هزيمة شنيعة .

هذا الشاب كان يتردد على حلقات السفسطائيين ليتعلم الخطابة وطرق اقناع الجماهير . يصفه افلاطون فى غروره وطيشه وتعطشه للمعرفة فى حوار بعنوان « أوثيديموس » .

كريتون : لا يخدعك ـ يا ابنى ـ مظهره . فالنفس التى سكنت هذا الجسم نفس زكية ٠ مثله مثل تلك القرب السوداء الخشنة يملاها الفلاحون بأجود خمورهم ، فيطرحها الحمار فى زاوية من حانوته ليخص بخمرها من توسم فيهم الظرف والذوق ٠ فاذا حل عقالها عم أريجها الندامى وذبلت لنشرها أنوار المصابيح . كم من رجل التقى بى أول مرة فأحس مثلك بالقلق وصدمته كلماته الاولى لانه يتصنع الصلف والاثارة ٠ ثم وجد نفسه أسيرا لسقراط ٠ قد أسره هذا الذى تراه بسحر بيانه وحلاوة لسانه ٠

كليناس : سمعت عنه الكثير يا كريتون ٠ قيل لى انه بليغ قوى الحجة ٠ أنا شاب طموح اريد أن يكون لى صيت فى هذه المدينة ونفوذ ٠ ولا يتأتى لى ذلك الا بالقدرة على حبك الحجة وصوغ الكلام ٠ أطلب من صاحبك سقراط أن يعلمنى الكلام .

كريتون : عليك بالسفسطائيين ـ يا ابنى ـ قدموا الى مدينتنا من كل حدب وصوب وعددوا فيها حلقات الدرس يعلمون الشباب كيف ينفذون الى قلوب الناس بواسطة الخطاب المقنع ويلقنونهم الطرق والمناهج لتغليب الحجة الضعيفة والدفاع عن القضية ونقيضها حتى يسايروا تطور الاوضاع وتقلبات السياسة. اذهب الى احدهم ـ ـ فكلهم سواء ـ حتى تضمن لنفسك مستقبلا فى تسيير شؤون المدينة ٠

كليناس : كريتون قيل لى : ان سقراط من فصيلتهم ولكنه بزهم وهزمهم فى كل جدال ٠ فانا افضل أن يعلمنى امهر الجماعة فى صناعة الكلام ٠

كريتون : لم يكن أمهرهم فى طرق الخطاب وأساليبه ، ولن تفوق عليهم بما هو أرقى من صناعة الكلام ٠ سوف ترى ٠ هلم اليه !٠٠٠

صباح الورد يا سقراط ! ما الذى أتى بك مبكرا الى السوق ؟ أراك أشعث أغبر قد غسلت وجهك على عجل ٠ تحرك رأسك وتنظر الى الناس شزرا ٠ تذكرنى فى هيئتك يوم انهزمنا فى ساحة القتال . فبقيت فى المؤخرة شاهرا رمحك ، تحملق بعينيك الى الاعادى الظافرين ، فينفضون من حولك كما لو كنت أسدا فى غابه ٠ ما الذى جرى لك فى هذا الصباح ؟ هل طردتك الحرم المصون من البيت ؟

سقراط (3) : نعم ـ يا كريتون ـ ركلتني كسانتيب (4) عند صياح الديك وسحبتني من رجلي وقالت : **قم اسع للرزق يا كسول يا وسـخ ! وأي رزق يرجى من وراء سعيك ؟ تتسكع طول اليوم في أزقة أثينا عاري الرأس حافي القدمين ، يتبعك الاوغاد من أهل المدينة . ينسبون لـك الـورع والفضيلـة والحكمة . يسمونك سقراط الحكيم . أنا أعرف الناس بك . التزمت دورا في مسرحية أنت مخرجها وممثلها الوحيد . أما آن لك أن تنزل من الخشبة ؟**

---

(3) **سقراط** : فيلسوف يوناني ولد في مدينة أثينا سنة 469 قبل الميـلاد وتوفي بها في سن السبعين ، سنة 399 قبل الميلاد بعد أن حكمت عليه محكمة الشعب بالاعدام .

كان ينتمي الى أسرة فقيرة تعيش بكد يمينها . كان أبوه نحاتـا وكانت أمه قابلة . وقد كان أبواه حريصين على أن يمكنا ابنهما ـ رغم قلـة مـا في **اليد ـ من تربية مماثلة لما كان يمنح لابناء جيله في عصره وهي تربية معتمدة على اركان أربعة** : الرياضة البدنية والموسيقى والشعر (**خاصة تلقين أبيات الشاعر الملحمي** هوميروس) والمبادىء الاولى للهندسة .

ثم تعلم مهنة أبيه وقضى ردحا من الزمن ينحت المرمر في **معمل أبيـه . ولكنه استجاب يوما لصوت كان يخاطبه في قرارة نفسه وكان يقول : كيف** تعاني يا سقراط تلك المعاناة لنحت صورة من الصخر هي نسخة فاقدة للروح لأصل أجنبي عنك ولا تفكر في نحت نفسك لتصبح في هذه الدنيـا تمثـالا **حيا للآلهة** .

وغادر سقراط المعمل وانقطع للمعرفة بمعاشرة العلماء والفلاسفة وبتصيد الناس لاجبارهم على الرجوع الى أنفسهم للبحث عن **الحق والخير والجمال** . وكان رائده في تجواله ومباشرته للناس **ذلك الصوت الذي يعلو من باطـن نفسه والذي كان يسميه « شيطانه »** .

(4) **كسانتيب** : هي زوجة سقراط وكانت شرسة الطباع شمطاء . **ساله أحدهم لماذا تزوج منها فقال** : أرى ان الذين يريدون أن يكونوا فرسانا مهرة **يقتنون لا أطوع الخيل ولكن اكثرها جموحا لانهم يعتقدون انهم اذا قدروا على ترويضها استطاعوا أن يسوسوا غيرها بسهولة . كنت أود أن أتدرب عـلى** معاشرة الناس فتزوجت من كسانتيب وانا موقن من اني اذا تحملتها استطعت **أن اتحمل بسهولة جميع طباع البشر** .

ولكن كسانتيب انجبت له ثلاثة بنين وكانت أما حنونـا وزوجـة وفيـة صاحبته الى آخر يوم من حياته وقاسمته المحن . **ولذلك كان يحترمها** .

اعتدت ـ يا كريتون ـ صراخها وخصامها وهجرتها فى الفراش منذ عشرين سنة ، ولم أعبأ يوما بما تقول . ولكن كلامها اليوم كان له وقـع فى نفسى وجرس فى صدرى · زهدت فى لذات الحياة جميعها لانقطع الى المعرفة واتحلى بالفضيلة . هل كان ذلك منى مغالطة وعبثا ازاء نفسى وازاء الناس ؟ هل أنا ممثل لم يتملص من دوره ؟ لذلك ترانى ـ يا كريتون ـ قلقا ثائرا · هل نفعت نفسى حقا وهل نفعت الناس ؟

كانت أمى قابلة تساعد الحوامل على وضع اطفالهن . كانت واثقة من نفسها ماهرة فى صناعتها · فاردت أن أنسج على منوالها فساعدت الناس على شرح ما هو غامض فى صدورهم وعلى توليد أفكارهم · فهل وفقت كما وفقت أمى ؟

يا كريتون ! ما انتبهت · ظننت أنى واياك على خلوة فأرخيت عنان الحديث قل لى ! من هذا الشاب الذى يصحبك ؟ يقفز يمينا وشمالا يحاول أن يجلب الانتباه كأنه جرو كلاب ·

كريتون : يا سقراط ! هذا كلينياس شاب ثرى من شبان المدنة له اليك حاجـة ·

كلينياس : يا سقراط ! أريد أن يكون لى حظ فى هـذه المدينـة وشهـرة ونفـوذ · علمنى كيف أخاطب الناس لاقنعهم وانفذ الى قلوبهم ·

سقراط : يا هذا ! مدينتكم أكلها الكلام وغمرهـا فيض الكـلام وقوضهـا الكلام · أما كفى ؟

كلينياس : يا سقراط ! أنا شاب طموح أتوقد حيـاة فأريـد أن يكـون لى مستقبل فى هذه الامة · ولا يتسنى لى ذلك الا بالكلام · وانا عازم على ان أكون فى فئة الاقوياء · وأرفض أن أكون فى زمرة الضعفاء المستضعفين · ولا قوة الا بالكلام · علمنى كيف أغلب الحجة الضعيفة على الحجة القوية بسحر الكلام·

سقراط : الامساك والسكوت افضل · الحق لا يحتاج الى الكلام ، والخير يسعى اليه فى صمت ، والجمال يغشيه الكلام وتلوثه الثرثرة ·

كلينياس : ولكنك ـ يا سقرط ـ قد علمت مريديك حبك الحجة والافصاح بالقـول ·

سقراط ربما كنت فى ذلك مخطئا · كنت أظن أن الكلام يوصل الى معرفة الحق ويغلب الفضيلة على الرذيلة ويساعد على الاحساس بالجمال · طمحت الى

تسخير الكلام ففشلت ٠ وكنت أنتقد السفسطائيين لانهم مرتزقة يبيعـون المعرفة ويتلاعبون بالكلام . ولكن استعملت طريقتهم للدفاع عن الحق والدعوة الى الخير فخذعنى القول وسقطت فى أحبولته . واختلط الحق بالباطل .

انظر الى هذا القوم . توزعوا فى هذه الساحة ليقضوا شؤونهم فى الصباح الباكر ٠ انهم لا يتكلمون الا نادرا ٠ لا يتكلمون الا بمقدار الحاجة الى الكلام ٠ وما عدا ذلك تكلف وثرثرة وعبث . هيا بنا نخط بعض الخطوات معا .

— 2 —

الاسكافى: سقراط ! يا سقراط ! اسمعنى ! التفت الى . تفضل . اجلس معنا ٠ ما رأيتك يوما تلبى دعوتى فتنتظم فى سلكنا ٠ ونحـن مواطنون لـك نرغب فى معاشرتك ٠

سقراط : أنا أحب التجول فى الساحات والازقة وأبغض القاعدين ٠ يلتف حولك جماعة من مختلف الطوائف والفئات لا يجمعهم الا غث الكلام وباطلـه والحقد والسعاية والنميمة والنقمة على الاوضاع الراهنة ٠ يجتـرون الماضى ويعرضون عن الحاضر ولا يتصورون المستقبل . دعنى أكتشـف فى تجـولى ومراقبتى للعابرين أولئك الذين ينزعون الى تهذيب أنفسهم وتحمل مسؤولية أيامهم ؟ فحديثى معهم أجدى وأخصب .

الاسكافى: تجاوزت الحد ــ يا سقراط ــ ! ومزقتنـا إربـا ومـا عهدناك هكذا ٠ ما الذى جرى لك اليوم ؟ فقدت الرصانة والاعتدال والتسامـح وهى من شيمك ٠

سقراط : يا هذا ! انى ابغض الاقوام اذا كانت خليطا لا تجمعهم مصلحة ولا مبدأ وأمقت القول اذا كان سفها لا ينم عن احساس ولا يرمى الى غاية .

الاسكافى: يا سقراط ! اذا توسلت اليك لتقضى لى حاجة فهل تسعـف المستغيث ؟

سقراط : هات ما عندك !

الاسكافى: فقدت رجلى اليمنى اثنـاء الحـرب التحريرية وكنت اتقـاضى مقابلها منحة شهرية قرروا تخفيضها بمقدار الثلث ولا ادرى لمـاذا . ورفعت

ظلامتى الى محكمة الشعب مرتين ولم انصف • فهل لك ان تتوسط لفائدتى لدى المسؤولين وعظماء الامة حتى يرفع عنى الضيم • انهم يجلون فيك المفكر ويخشون سلاطة لسانك •

سقراط : اخرس يا رجل ! ان الشعوب تمقت قدماء المحاربين . غلبنا الفرس وحررنا البلاد وطوينا السجل • اعتن بصنع الاحذية ورتق النعال • فذاك أجدى لك •

الاسكافي : ولكن يا سقراط ! أنا طالب حق • دعيت فأجبت • وطلب منى بذل النفس فبذلت . قل لى ! لماذا ألقى حاكم المدينة فى الاسبوع الماضى خطبة طويلة مؤثرة لتمجيد من سقطوا فى ميدان الشرف دفاعا عن الوطن . وضعوا التوابيت أمامه صفوفا مرصوصة . وكان يخاطبهم كما لو كانوا احياء . وكان صراخ عائلات الضحايا وبكاؤها يقطع خطابه . لماذا هضموا حقى ؟ ألم أعرض ـ أنا أيضا ـ بحياتى فى سبيل هذا الوطن ؟

سقراط : الفرق بينك وبينهم أنك حى وهم ميتون . ثم ماذا ؟ ألم تلاحظ أن أولئك صرعوا فى متاهات حرب أهلية احتدمت بين شعوب يونان ولا يعرف احد أسبابها ولا منتهاها ؟ ألم تتفطن الى ان الخطبة احتوت على فقرات كاملة من مرثية ألقيت منذ ثلاثين سنة أمام توابيت من سقطوا فى الحرب ضد الفرس ؟ تحولت الاوضاع ولم تتبدل المقالة • المسألة مجرد قيام بمراسيم موروثة •

الاسكافي : اذن بقى لى أن أرفع أمرى الى الآلهة علهم ينصفوننى •

سقراط : ذاك أفضل واتقى • ولم يبق لك من العمر الا سنون معدودات ستقابل بعدها قضاة الآخرة • ولا شك انهم سينصتون اليك ويقتصون لك • أما الآن فحاول أن تقضى ذيل العمر هذا فى هناء وراحة بال •

الاسكافي : ولكن ـ يا سقراط ! ـ ألا يعترف الناس بأن جيلنا هو الذى حرر المدينة من غزو الاعادى وكسب لها مناعتها ؟ ألا يعترف الناس بانه كان له دور وأى دور فى ازدهار هذه المدينة وعزتها ؟ ألم يقر أحد منكم بأنا آمنا بها وصمدنا عندما انقطع الرجاء • زحف الاعداء وكانوا كالنمل عدا وأحرقوا المدينة بأكملها • ولم يبق لنا فى كامل هذا الوطن شبر من التراب يضع فيه واحد منا قدمه • ألم نركب السفن لمجالدته فى البحر ؟ ألم نقل : ما دمرت

أثينـا ما دمنا أحياء . تحيا أثينـا ما حيى أهلها ؟ ألم نرفع أصواتنا بالنشيد كالرجل الواحد عند بزوغ الشمس فوق سطوح السفن لننقض عـلى أسطول الاعداء وندمره تدميرا ؟ ألم نغلب الفرس ؟

سقراط : نعم . كل ذلك جرى فى الزمن الماضى . ولكن هل غلبنـا الفرس حقا ؟ انظر الى من حولك من القاعدين والى المارة فى ساحة السـوق ، واسأل أيهم شئت : من أعظم ملك فى العالم ؟ سيجيبك بلا ريب : ملك الملوك اى ملك الفرس • وانظر الى ثيابهم وزينتهم • ألم تلاحظ أنهـم يتشبهـون بالفرس ؟ اسألهم عن أرقى حضارة فى العالـم واسمى ثقافـة فسيجيبونك ان حضارة الفرس انموذج يحتذى وان ثقافتهم هى الرائدة • اسألهم عن أنفسهم ونظمهم وقيمهم وتصريف شؤونهم فسينهالون عليها نقدا وشتما واستنقاصا • بضائع الفرس قد غصت بها المدينة يتشاجر الناس لاقتنائها ومؤلفاتهم فى كل علـم وفن تملا دكاكين الوراقين • انظر الى الصيارفة أمامك • أما رأيت أكـداس الدنانير الذهبية الفارسية فوق المناضد ؟ أين دراهم أثينا التى نقشت عليها انبومة ؟ اكتسحتها خيل فارس المضروبة عـلى الـذهب الابريز • ساستنـا يتهافتون على بلاط ملك الملوك ويتجشمون أتعـاب السفـر لطلب النصيحـة واستجداء المساعدة • ملك الفرس قلوبنا ولو انسحب عن أراضينا ولم يستعبد أجسامنا . وما حيلتنا مع من ملك القلوب ؟ السلام عليكم .

ـ 3 ـ

تخلص سقراط من مريديه الذين انهالوا عليه بأسئلتهم وغمروه بشواغلهم راغبين فى النصح والتوجيه • وانسل من ساحة السوق يروم العزلة •

واعترضت طريقه حديقة صغيرة طاب له ظل اشجارها واغراه سكونها فاخذ يجوب مسالكها وينظر الى اغصان الشجر •

وكان يرفع رأسه أحيانا فيرى المعابد والقصور القائمة على الربى المحيطـة وقد جللها الكلس وكساها المرمر •

ووقف منتصبا غارقا فى تفكيره يخاله المرء صخرة منصوبة • كان يستطيع أن يمكث هكذا ساعات طويلة دون أن يبدى حراكا • وكان الناس يعرفـون ذلك عنه . فيتحاشون ازعاجه ويقولون : دعوه ! لقد زاره شيطانه .

ولكن سقراط ـ عندما انقطع يومها عن السير ـ لم يزره شيطانه ليواصل معه ذلك الحوار المتسلسل الذى تمادى عشرين سنة ٠

كان سقراط يحس بثغرة وقطيعة وانقطاع وحى .

أسباسى (5) : صباح الخير ـ يا سقراط ! ـ ما عهدتك تميل الى النـزهة وتعتزل الناس وتلتجىء الى الحدائق ٠

سقراط : صباح الورد ـ يا اسباسى ! ـ ما أجملك ! لم يعضك الدهر كما عضنى ولم تنل منك الايام ٠ أنت ممشوقة القد كشجر السرو الذى يهزأ بالريح وقد انحنى منى الظهر تجر ذيل مرطك على الارض فى بهجة وأناقة كما لو كنت أميرة فى بلاط فارس ٠ أنت أجمل زهرة فى هذه الحديقة ٠

أسباسى : سقراط ! هل أنت تغازلنى أم تغبطنى على النعمة ؟

سقراط : هذا وذاك : عرفتك صبية ناهدة قدمت الى أثينا من آسيا تبحثين عن عمل ترتزقين منه ٠ وقد تخرجت من معهد بلاغة فى بلدك ٠ وقيل لك ان سوق الكلام نافقة فى بلدنا . فقصدتنا مثلما قصدنا غيرك من صناع الكلام . فكنت أراك فى الازقة والساحات تحاولين تعليم الناس أسس البلاغة ومناهجها . وكانت بك رطانة . فكان الناس المتفون من حولك يزدحمون مندهشين لفرط جمالك وفيض حماسك . ولكن عندما ترجع لهم أنفاسهم ينفضون من حولك مبتسمين باحثين عن غيرك ٠

وكنت ـ أنا أيضا ـ مبهورا بجمالك معجبا ببلاغتك مندهشا لجرأتك واعتدادك بنفسك ٠

ما تفطنت أن الرجال يأبون أن تعلمهم امرأة وأن أخواتك فى كامل بلاد يونان مقصورات فى البيوت لا دور لهن فى الحياة العامة . سبقت زمانك ـ يا أسباسى ! ـ وما كنت شاعرة ٠

ولما كسد سوقك اشتغلت بالسياسة وسلكت معابر الحكم ٠ وكنت أقفو خطاك وأبارك نجاحك ولم تغيبى يوما عن بالى ٠

---

(5) **أسباسى** : فتاة من ميلى فى آسيا الصغرى. وكانت خريجة معهد خطابة. هاجرت الى أثينا واستوطنت بها وتعلق بها حاكم المدينة « بيريكليس » . وكانت تعاشر رجال السياسة والعلماء والمثقفين والادباء والفنانين ٠

أسباسي : اذن أنت تحبني • وما بحت بما في جنانك الا في ذيل العمر • ماذا أصنع بشيخ مثلك ؟

سقراط : غزل الشيوخ ألطف وأعمق . ألذ ما في الكأس الثمالة .

عندما كنا في مقتبل العمر كنت أخشاك لانك من جنسي ومن فصيلتي • الحديد لا يألف الحديد . خفت أن تصرعيني أو أصرعك فتزول الالفة ويمحى الانس •

أسباسي : لذلك فضلت أن تتزوج من امرأة حمقاء بسيطة • كيف حالها وكيف كانت الالفة ؟

سقراط : ما ألفتها وما ألفتني • هي شمطاء غضوب • لا يروق لها سلوكي ولا تدرك مقاصدي •

أسباسي : ألم تعرف هذا عنها من البداية ؟ لماذا أقدمت ؟

سقراط : أردت أن أكسب فرسا جموحا حتى ألتذ بنخوة ترويضها •

أسباسي : يا لصلف الرجال وحمقهم ! تظنون أن المرأة مطواع لزجة تسبكونها كما عن لكم • واذا حرنت وفكت العقال اعترتكم بهتة •

سقراط : وقعت من صهوة الفرس منذ زمان • وامسينا نسير جنبا الى جنب • هي رفيقتي على الدرب الطويل •

أسباسي : لماذا لم تسل ثيابك من ثيابها ؟

سقراط : لقد أنجبت لى البنين • وابنائي قرة عيني • لن اموت وحيدا • سيحيطون بي عندما ياتي الاجل المحتوم •

أسباسي : أنت كبير العقل ــ يا سقراط ! ــ فكيف تتحدث كالفتى المراهق. كلنا يقابل الموت وحيدا • صبرك على تحمل كسانتيب له دافع آخر •

سقراط : نعم • الاحترام المتبادل ••• ولكن دعنا من كسانتيب غفرت الآلهة لى ولها ولم يبق لنا الا ان نرجو ثواب الآخرة . وذريني أداعبك . ذريني أغازلك • علني أحيي ما مات في النفس • أنت طويلة بيضاء واخواتك قصيرات سمراوات . اسمحي لهذا الشيخ البدين القذر أن يغرق في عيونك الخضر .

أسباسى : الا ترعو يا شيخ ؟ لا تتعابث ولا تتخابث ولا تحاك كلام الصبية وصغار العقول . أنت رجل كبير فى نظرى وفى نظر الناس .

سقراط : أجد فى ذلك راحة ومتنفسا . اليوم خلعت العذار بعد كبت طويل وطرحت عناء الفلسفة .

أسباسى : لماذا لم يستهوك الا شكلى ولم تؤثر فيك الا مفاتنى ؟ أنا انسانة أحس بما يحس به الرجال . لماذا لم تخاطبنى بما تخاطب به الرجال ؟ لماذا لم تجادلنى لاستكشاف ما تنطوى عليه نفسى ؟

سقراط : تعاطيك السياسة علمك الحدة فى القول . لقد تعبت وسئمت وأصبحت أشك فى جدوى الجدل . الجمال يسمو بالنفس مثل الحق والفضيلة وأنت للجمال آية .

كلما اعترضتنى دهشت وفزعت والجمال مفزع ـ يا أسباسى !

هل شاهدت صنم أثينا الاهة المدينة وحامية الامة فى معبدها فى أعلى هذه الربوة المطلة علينا ؟ هل شاهدتها فى ناووسها فى أقصى المعبد عند مطلع الفجر ، وقد أضاءتها أشعة الشمس النافذة اليها من الكوة فانعكست على الذهب والعاج ، وكستها هالة ملونة هادئة ؟ انها جميلة مذهلة ، ولكنها تبعث الروع فى النفس وتذهب بالعقل لان حقيقتها التى لا تدركها الابصار رابضة من وراء الهالة . انك مثلها لغز وطلسم وما طمعت يوما فى فك الالغاز والطلاسم . ولكن أتحسس ...

أسباسى : سقراط! أفق طوحت بك الاحلام...أدن منى أبح لك بسر. كنت أقول فى نفسى لما رأيتك أول مرة : لو التقت الحكمة بالفتنة لاهتزت الارض ولحدث فى الدنيا حدث . ولكن ما الفائدة فى الحنين الى الفرص الضائعة ؟ أدن منى ـ يا رجل ـ فأنت أعز عندى من حبة العين .

سقراط : اقتربى منى ـ يا اسباسى ! ـ واقرنى خطوى بخطوك حتى ينقطع عنى الوسواس وتزول الغمة . انى أشعر بالضيق فى هذه المدينة . عرفت جميع دروبها وسككها ولم أغادرها أبدا الا اذا دعيت للنفير فاقبض على رمحى وأشد ترسى وأنضم الى صفوف المقاتلة . لم يكن بيتى الا جحرا آوى اليه فى ساعة متأخرة من الليل وأغادره عند بزوغ الشمس . لم أشعر فيه أبدا بالاستقرار والسكينة . راحتى وسعادتى أن أتجول فى أرجاء مدينتى فهى محيطى ومستقرى .

فلماذا ضاقت بها نفسي اليوم ؟ تعرف قدماي كل منخفض في طرقها وكل مرتفع . وتعرف متى يلين التراب ويبرد ومتى يتصلب فيلهب الاقدام . أنا أعرف أين يكمن الظل وأين تحرق الشمس . أنا أعرف أين تهب النسمات وأين ينقطع النفس • أنا لا أتوه فيها في الليلة المظلمة ولا أحتاج فيها الى سراج . هديي طعم الهواء الذى أتنفسه وروائح الاطعمة عندما تلتف الاسر حول الموائد وراء الابواب الموصدة أو نغمات تصاعد في الفضاء وتهوى الى أذني كالفراش التائه •

لماذا أشعر – يا اسباسى ! – بالغربة فى مدينتى كأنها تغيرت فى وجهى ؟

أسباسي: لم يتغير فيها شيء – يا سقراط! – لقد تجددت ونمت وازدهرت وكل حى ينمو – يا سقراط ! – هون عليك • أراك ترتعد كالفرخ الازغب فقد أمه • ان الجويرية الناهدة أصبحت حسناء فاتنة .

سقراط: الفرق بين النمو والتنكر للذات دقيق لطيف لا تدركه الابصار بيسر • ارمى بعينيك الى هذه المعالم وهذه الشوارع • انظرى الى هذه المدينة• ألم تلاحظى أنها تغيرت كليا •

عاشرتها طويلا ولا ألقى الكلام جزافا • مثلى مثل ذلك العاشق الذىيكتشف يوما وبصورة مباغتة أن المرأة التى أحبها وعاشرها أصبحت غريبة عنه ولو لم تتبدل هيأتها ولم يتغير سلوكها نحوه • لقد تغيرت فى أعماقها وأخذت تبتعد عنه شيئا فشيئا الى ان انكشف الامر يوما لها وله فى آن واحد . فكانت الوحشة والقطيعة . لم تنتم المدينة ولم تتطور ولكن أعيد تشكيلها وبناؤها على قواعد أخرى .

أسباسي: سقراط ! افصح !

سقراط: انظرى من حولك • سكك مستقيمة واسعة ومرمر أبيض ناصع يلفظ النور وضوح بلا حياة وواقع مسطح بارد لا خلفية له ولا أبعاد •

كانت مدينتنا قبل ان يحرقها الفرس مدينة من خشب تمتص النور وتحوله دفئا وحرارة . وتحتضن أهلها فى منعرجات الازقة حيث تمتزج الاضواء بالظلال ، فتكسوها نورا مريحا منعشا ، ذبذباته هى نبضات الحياة الكامنة فى دورنا المتلاصقة المتراصة .

لماذا كشفوا حالنا وعرضونا للرياح وسطوة الشمس الساطعة ؟

أسباسي : ان الذين أعادوا بناء المدينة هم تلاميذك اهتدوا بتعاليمك وسلكوا منهاجك ألم تدعهم الى القضاء على التقاليد وبناء حضارة جديدة أساسها العقل المفكر الذى ينحت الواقع نحتا ؟ هذه المدينة من صنع العقول التى أيقظتها ·

سقراط : ولكن انظرى كم دمروا وشردوا لتنفيذ خططهم واقرار نظامهم . النتيجة اعتداء على كرامة البشر وجور وقضاء على تراث الاسلاف · العقل الذى دعوت اليه ليس هذا الذى أرى آثاره . العقل طريق الى الفضيلة واعتدال وسماحة خلق وسعى الى الخير ·

أسباسي : لعبت بالنار - يا سقراط ! - وما علمت ان تعاليمك اذا علقت بعقول شابة طموحة تشوه وتسخر لعكس ما قصدت · لان السعى الى الخير رياضة عسيرة لا يقوى على احتمالها الا فئة قليلة . والشر أقرب الى الفطرة . ما تفطنت أن وراء كل جبار عنيد فيلسوفا أراد الخير فحصد الشر · أنا فضلت السياسة ·

سقراط : وهل تظنين أن ممارسة السياسة فى معزل عن العقل والمنطق ؟

أسباسي : لا ادعى هذا . ولكن السياسة تسخر العقل لاغراضها وهى اغراض دنيوية .

سقراط : ورضيت بهذا - يا اسباسى ؟ -

أسباسي : وماذا تريد منى أن أصنع ؟ أنا الغريبة لفظتنى سفينة على هذا الشاطىء . فارغمت على استغلال مفاتنى واعمال ذكائى ودهائى لاحتلال مكانى بينكم · واسعفنى الحظ · وكان من المحتمل أن لا يسعفنى · أنا حظية حاكم المدينة ادعى لديه فى الملمات واكتب له الخطب . يغبطنى بعضهم ويشتمنى البعض الآخر · لا يجرؤ أحد عليه · ولكنهم يرشقون البطانة بسهامهم · وانا من البطانة · والآلهة وحدها مطلعة على واقع الامر . ولكن لا يهمنى من امرهم شىء ما دمت أسير بين ظهرانيهم مرفوعة الرأس .

سقراط : هل أنت مرتاحة لوضعك ؟

أسباسي : لم لا - يا سقراط ؟ - لو لم يسعفنى الحظ لبيقت - أنا الغريبة المتشردة - أتجول فى سكك المدينة نافخة فى مزمارى على صاحب عرس أو وليمة يستأجرنى لالهى السمار والندامى ··· أنا راضية بحالى ···

سقراط : هل أنت سعيدة ـ يا اسباسى ؟ ـ

أسباسى : السعادة وهم من أوهام الفلاسفة . لم أطرح هذا السؤال يوما على نفسى . يكفى أن أتنفس ملء صدرى ، أن أنعم كل يوم بنور الشمس ، أن أنام كل ليلة نوما هادئا لا أحلام فيه ، أن يلتفت الناس الى عندما أمر فى الطريق . لاحظ ـ يا سقراط ! ـ انى سأشعر بالوحشة يوم يمر الناس دون أن يلحظونى . وسيأتى ذلك اليوم لا محالة ولكن أبغض أن أفكر فيه .

وهذا لا يعنى أنى لا أرتاح اليك الآن . ربما أسرجت فى نفسى فتيلة ظننت أنها انطفأت منذ زمان .

سقراط : لو عرضت عليك مغادرة هذه المدينة والهجرة معى الى بلد آخر . فهل تستجيبين لى ؟

أسباسى : الى أين يا سقراط ؟ وأنا الغريبة المهاجرة . فهل ترانى أشد الرحال مرة أخرى ؟ ولماذا ؟ لاشق طريقى من جديد . عجبى منك . وأنت أنت . هل تستطيع بعد أن صلب عودك أن تترك ما أنت عالق به بجميع جوارحك ؟ جننت يا سقراط !

ـ 4 ـ

سقراط : هيا بنا ـ يا فايدروس ! (6) ـ نتوجه الى ضفة الجدول فى هذا القيظ . هل رأيت شجرة الصفصاف تلك . لنقترب منها فنجلس فى ظلها . هل رأيت هذه النبتة التى عانقت الشجرة وتسلقت من جانب ثم تدلت الى الارض بأغصانها الرقيقة الناعمة؟وهل رأيت هذا العشب الاخضر الناعم الذى يمتد كالبساط ينحدر برفق الى الماء؟تلك الخميلة تدعونا اليها.قفبناواجلس. أما أنا فانى سأتمدد على هذا البساط الرقيق وأدلى قدمى فى مجرى الماء . انظر ـ يا فايدروس ! ـ الى هذه الطبيعة الجميلة الهادئة . انها لا تعرف الغدر ولا المغالطة . تبدى لك محاسنها الظاهرة بكل بساطة وتتمنع عن ابداء ما خفى منها حتى تترك لك متعة استكشافها وابرازها . اغمس مثلى قدميك فى الماء . ألم تحس بنعومته وبرده فىهذه الظهيرة ؟ ان وظيفته أن يبرد فى هذه الساعة

(6) **فايدروس :** أحد تلامذة سقراط. ذكره ووصفه افلاطون في حوار يحمل اسمه .

القاسية من النهار حتى نجد ويجد غيرنا متعة فى شربه أو غمس قدميه فى مجراه . ما دامت عين الماء فوارة سنجد ماء الجدول فى مثل هذه الساعة باردا منعشا كاليوم ٠

وهل تسمع - يا فايدروس - غناء الصراصير ؟ ان صريرها رغم حدته لا يمزق السكون . انه يعمقه ويجعلنا نحس اكثر بالهدوء والسكينة ٠ ان نبراتها لم تتغير منذ بدء الخليقة فاصبحت ملازمة لهدوء الظهيرة .

لا تباغتك الطبيعة ولا تقلب لك ظهر المجن مثلما يفعل الانسان ٠

فايدروس : يا سقراط ! يا صديقى ويا أستاذى ! بلى ٠ قد تغيرت الاوضاع من حولك وأحسست انا بالخطر ٠ فاحببت أن أخاطبك بمعزل عن الناس فى هذه البرية وفى هذه الساعة التى يؤوى فيها الناس الى بيوتهم للقيلولة .

سقراط : ما هذه المقدمات - يا فايدروس - افصح ٠

فايدروس : لم يعد الناس ينظرون اليك نظرتهم الاولى الى فيلسوف أثينا ومرشد الناس ٠ ولو ان معاملتهم لك لم تتغير فى الظاهر ٠

سقراط : من الطبيعى أن يسأموا من الحكمة ويضيقوا ذرعا بالاستقامة ٠ وأى حمل أثقل على صاحبه وعلى الناس من الاستقامة ؟

فايدروس : المسألة أخطر مما تظن . دب السعاة فى أرجاء المدينة يدعون أنك تفسد الشباب وتدعو الى انتهاك حرمة آلهة أثينا .

سقراط : وما قولك أنت - يا فايدروس ! - فيما ينسب الى ؟

فايدروس : كذب وافتراء ٠

سقراط : اذن دعهم يسعون ما دمنا على حق وهم على باطل ٠

فايدروس : ولكن - يا سقراط ! - ألم تعلمك الحياة أن الحق ضعيف كثيرا ما يغلبه الباطل ٠

سقراط : نعم ٠ أعرف ذلك جيدا ٠ ولذلك دعوت الشباب الى نصرة الحق الضعيف ودحض الباطل المستبد بصقل القريحة واعمال العقل واستعمال المنطق السليم ٠ كنت أعتقد أن الاقناع كاف لكسب أنصار للحق وأن صقل الذهن يؤدى حتما الى مقت الباطل ٠

ربما بالغت فى الدعوة الى سلطنة العقل ولم أتفطن أن نصرة الحق تتجاوز الحق والمنطق لانها ابتلاء ومحنة وبذل للنفس وتضحية .

فايدروس : ماذا تعنى ـ يا سقراط ؟ ـ ان فى كلامك هذا نبرات غريبة ما سبق أن سمعتها منك ·

سقراط : أتريد ـ يا فايدروس ـ أن أقص عليك قصة أهل الكهف ؟

كانوا جماعة وجدوا أنفسهم فى كهف مظلم فالتفوا على بعضهم مذعورين · ثم شع نور خافت وبانت مسالك فى وجهات مختلفة وتعالت نغمات وأصوات رخيمة وتراءى للجماعة عن بعد مروج وجنات وقصور ونساء ومواش . وكان من بينهم رجل صالح يقول لهم : حذار . لقد سقطنا فى الفخ . كل ما يتراءى لنا أخيلة خلابة وأوهام ساحرة ولا حقيقة وراءها بل الهلاك والدمار · أنا أبحث لكم عن المخرج · وبان له فى أقصى الكهف نور ضئيل يتلوى كنور المصباح الذابل · فقال : هو ذا · هلموا · فكذبه أكثرهم وسخروا به وتوزعوا بين المسالك قاصدين الاشباح . ومضى هو فى طريقه الى المخرج . وكان يختفى النور أحيانا فى المنعرجات ولكنه كان يسير نحوه دون هوادة . وكلما اقترب منه تعالت النغمات وبدت الاشباح أملح وأزهى ولكن ذلك لم يثنه . ووصل الى المخرج مع ثلة من صحبه وهلك الآخرون ·

هكذا الطريق الى الحق ·

الدليل على فشلى فى تلقينك الفضيلة هو أنك تنكرت للحق · ستكون ـ بلا ريب ـ أول من يطعننى فى الظهر ·

فايدروس : كيف تقول هذا ـ ياسقراط ! ـ ونحن طلبتك مستعدون لبذل النفس والنفيس فى سبيل نجاتك وسعادتك ·

سقراط : ستؤلب الناس ضدى ويلقى على القبض وأساق الى محكمة الشعب ويحكم على بالاعدام وأقتل · وستكونون ـ أنتم طلبتى ـ منقسمين الى فريقين: فريق يتنكر لى وفريق يختفى حتى تمر العاصفة ·

فايدروس : كيف تقول هذا عنا ونحن نعبدك عبادة !؟

سقراط : هذا خطأ · لا يعبد الا الحق والخير والجمال · سيغدرنى بعضكم ويعرض عنى البعض الآخر لان تلك مشيئة الكون · البر ثقيل على النفس ·

لا بد أن يقتل الاب يوما حتى تتحرر الذرية . ستندمون بعد القضاء المبرم وتتوبون وتعدون خصالي وتخلدون اسمي ٠ وهذا ايضا طبيعي ٠ طبيعي أن يعقب الجرم الندم ٠

فايدروس : سقراط ! هذه أوهام سكنتك . تشك فى تعلق طلبتك ومريديك بك ؟ وقد كلفني جمعهم أن أقترح عليك الهجرة والنزول بأي مدينة يونانية تروق لك ٠ فقد أعددنا العدة لتغادر أثينا سرا ٠

سقراط : يا فايدروس ! تريد أن أغادر أثينا سرا كما لو كنت مجرما ؟ ولا جرم اقترفته . وقد دعوت طول حياتي مواطني أثينا لتعاطي الفضيلة ونبذ الرذيلة وسعيت للخير وقاومت الشر واحترمت مقدسات وطني ونظام أمتي٠ أتراني بعد هذا كله أتسلل ليلا مصحوبا بثلة منكم لامتطي سفينة تحملني غريبا الى مدينة غريبة فى حين أن لى الحق فى أن أطأ أرض وطني مرفوع الرأس الى آخر يوم من حياتي ٠

ولا تظنن ـ يا فايدروس ـ مع هذا كله أني أشعر دائما بالدعة والاطمئنان بين ناسي ٠

تعتريني أحيانا حالات بليلة وشك فى نفسي واحساس بأن الارض تميد تحت قدمي . فالجأ دون أن أغادر موطني الى أحد المتنفسين :

اما أن اقطع عشرة أميال فى البرية فانزل ضيفا لمدة يوم وليلة على صديق لى فلاح يفوح بصلا وثوما وخمرا جديدة ٠ فاصحبه الى الحقل وأتحدث معه عن الزرع والمواشي ٠

واما أن اسهر عند خمار بميناء أثينا أسكر مع الحمالين والغرباء .
دعني الآن فقد كحل جفني النعاس ٠

ـ 5 ـ

سقراط : ما هذه الجلبة ؟! ما هذه الفوضى ؟! كف عن غيك يا رجل !
الكاهن : سقراط ! ما زلت تلاحقني وتضايقني كذبابة الخريف تلصق بالجلد فلا تبرحه ٠

سقراط : معقول هذا ؟ دفعت بهؤلاء الناس فى البحر يقتحمون أمواجه ٠ وقد جر كل واحد منهم خنزيرا اسود رضيعا اشتراه بثلاثة دراهم وهو يصيح:

سقط الجدى فى الحليب ! سقط الجدى فى الحليب ! أى جدى وأى حليب ؟ بلغت بهم المهانة الى أن يقولوا ما لا يفقهون . عاملتهم معاملة الغنم يا رجل !

الكاهن : يا هذا ! هؤلاء القوم يخلعون عنهم الرجس ويطهرون . الماء منبت الحياة ومنبعها والبحر رحم الكائنات ! ألم تر كيف تحتضنهم الامواج وتلاطفهم وتهدهدهم ؟ ألم ترهم يقفزون ويمرحون ؟ ألم تر على شفاههم ابتسامة الوليد فى أول يوم من حياته ؟ نفوسهم مطمئنة لا تغيشها الحيرة . هكذا ينبغى أن يقابل المرء الآلهة .

سقراط : طقوس بالية وحركات فقدت معناها منذ زمن . هل حاولتم ـ معشر الكهنة ـ سؤالها من جديد ؟ كأنكم تفضلون الغموض على الوضوح والوهم على الحقيقة .

الكاهن : وما الحقيقة يا هذا ؟ هل أنت وحدك قادر على معرفتها ؟ الحقيقة ليست حكرا لاحد . ربما يكون ما تظنه وهما هو الحقيقة بعينها .

سقراط : الحقيقة ما يقره العقل ويرضاه . وما عدا ذلك وهم وباطل .

الكاهن : ما فتئت تدعو الناس الى إعمال العقل وسلوك منهاج الجدل فهل انتهيت وهل انتهوا الى معرفة الحقيقة ؟

سقراط : الطريق الى معرفة الحقيقة طويلة شاقة ولكن النتيجة فى النهاية مضمونة ؟

الكاهن : وما يدريك ؟ لعل المرء يصل الى المعرفة من طرق أخرى أيسر وانفذ . انظر الى هذا القوم . ألم يظفروا باليقين بالحس والذوق ؟ انظر الى وجوههم . أليسوا سعداء ؟

سقراط : سعادة البهائم ، سعادة البط فى الماء .

الكاهن : انك لا تفرق بين عبث الصبيان وعبادة العباد . حركاتهم فى الماء عبادة . أنت من دعاة العقل ـ يا سقراط ـ ولم يدرك عقلك هذا ؟!

سقراط : لا أخفيك انى عاجز على ادراك الظواهر اللاهوتية . فاذا كنت أعلم الناس ببعض الاشياء بفضل العقل فأنا أعرف جيدا أن جهلى بحر لا ترى أطرافه .

الكاهن : اذا كان الامر كذلك فلماذا تجحد وتتنكر لما تجهله ؟

سقراط : أراف لحالك ولحالهم ٠ هل رأيت نفسك ؟ لحية طويلة مجعدة تتدلى الى بطنك ٠ وتلابيب من قماش ملون تتطاير حول راسك ٠ وثوب فضفاض كان يلبس مثله أسلافنا ثم عزفوا عنه ٠ لو خرجت به فى أزقة أثينا لاحاط بك صبيان المدينة مصفقين عابثين . وعصا طويلة تضرب بها الارض . وهم . هم سيعودون اليك بعد حين وتسوقهم كالسوائم ٠ الى أين يا راعى البهائم ؟ الذى يؤسفنى فى هذا كله هو أنك لم تروض نفسك ولم تروضهم على معرفة أنفسهم بأنفسهم ٠٠٠

الكاهن : حدثنى عن شعارك « اعرف نفسك بنفسك » ! ما فتئت ترصد الناس وتلاحقهم وتلقى عليهم اسئلتك حتى يسبروا أنفسهم ٠ ألم ينفض من حولك الاكثرون ؟ بطانتك ذوو اليسار والجاه من شباب اثينا ٠ هل قصدت هذا ؟ هل أردت أن تكون سائس أشبال المدينة تصقل مواهبهم حتى يوسعوا ثرواتهم ويحافظوا على مراكز آبائهم ؟

سقراط : خطابى موجه الى جميع الناس . لا ميز عندى ولا تمييز . فما هو ذنبى اذا لم يحط بى الا ذوو الجاه واليسار من شباب المدينة ؟

الكاهن : لانهم عاطلون متفرغون للبطالة والنزهة والكلام العام ٠ أما الآخرون فان لهم فى هموم العيش ما يشغلهم عنكم وعن أنفسهم ٠

سقراط : ألم أسع الى توضيح الرؤية وتقويم السلوك وتهذيب الذوق ؟ ألم أطادر كل فرد اعترضنى فى الطريق ؟ ألم أضايقهم كذبابة البقر حتى يراجعوا أنفسهم ويميزوا بين الطيب من الحوافز والخبيث من النزوات ؟

الكاهن : هذا خطاب ما عودتنا به ٠ تستشهدنى كما لو كنت غير واثق من نفسك . هل راجعتها ؟ هل حاسبتها ؟ انظر من حولك الى الجيل الذى صنعته؟ ألم ترهم يتكالبون على حطام الدنيا ويجمعون الثروات حلالها وحرامها ويتسابقون لاحتلال المناصب للسيطرة على الناس . الثقة التى قلدتها الفرد لاكتشاف هويته بنفسه أدت الى الانانية ودعوتك لتحرير العقل أفضت الى تفجير الشهوات ٠

سقراط : وما كنت لذلك قاصدا · كنت أعتقد أن الفرد اذا قضى على الجهل والتقليد وتجاوز الملابسات والتناقضات كون مجتمعا عادلا ينزع الى الاتـزان فى السلوك والتسامح فى المعاملات ·

الكاهن : ولكن هل وفقت ــ يا سقراط ! ــ فيما سعيت اليه · دعوت الى تسيير شؤون البلاد بالمنطق والاعتدال والرصانة وها أنت تـرى الغوغائيين يدبرون الامور على خلاف الصواب والمنطق والاعتدال ويجدون لهم آذانا صاغية.

سقراط : وهل لك ــ يا هذا ــ حل بديل ؟

الكاهن : بديلى هو الاطراق والخشوع والعبادة ·

سقراط : الخشوع استسلام لقوة قاهرة مجهولة ·

الكاهن : مالك تتحدث عن أمور تجهلها · الخشوع رضا وسكينة وعودة الى النفس · أنظر الى هؤلاء المريدين العائدين الى الشاطىء · سيحيطون بى بعـد حين ويسعون معى على الاقدام الى معبد ايلوزيس (7) يحدوهم الشوق والوجد.

سقراط : أعرف ما الذى سيجرى · سوف تصلون الى المعبـد عند غروب الشمس وتحشر هذا الجمع فى قاعة مظلمة يبقون فيها صامتين ينظرون الى سلال وضعت فى ركن وتمر أمامهم مـن حيـن لآخـر أشبـاح . خزعبـلات وتضليـل .

---

(7) **ايلوزيس :** مدينة صغيرة غربى أثينا على بعد بضعة أميال منها فيها معبد تقام فيه طقوس دينية مرة فى السنة يشارك فيها الاثينيون باشراف الكهنة بعد القيام بعبادات الغاية منها تطهيرهم وترويضهم على الكتمان وعـدم بوح الاسرار الدينية التى ستنكشف لهم ، ومن ضمن الطقوس : سوق المريدين الى الشاطىء ليخوضوا امواج البحر وفى يد كل واحد منهم خنزير أسود رضيع .

معبد ايلوزيس الذى هو نهاية المطاف الروحى قد شيد لالهتين هما ديميتير آلهة الارض والخصوبة وابنتها برسيفونى الهة غياهب الارض وزوجة بلوتون إله الموت وصاحب مملكة الاموات الواقعة فى بطن الارض .

وقد أحاط بما كان يجرى داخل المعبد مدة ليلتين او ثلاث مـن الطقوس حجاب من التكتم لم يمزقه أحد طيلة العهود القديمة ما عدا بعض الاشارات الغامضة التى صدرت عن بعض اليونانيين الذين اعتنقوا النصرانية ·

الكاهن : ياسقراط ! افتح صدرك لى ولا تكن منكرا ولا جحودا ، **الظلمة** منبع الكائنات ومن الليل ينبثق النهار · وعلى قدر ظلمة الليل يكون النهار ساطع النور . والصمت شحن للنفس وتركيز وتعبئة وعلى قدر ثقله وعمقه تكون الكلمة مفيدة مجددة .

دعنى أقص عليه قصة المدينة المهجورة :

قيل : انهم حدثوا ملكا عن مدينة محصنة منيعة مقفلة الابواب قد هجرها سكانها منذ زمن بعيد · وتركوا فيها كنوزا لم يشاهد مثلها بشر ·

فحشد جيشا عظيما وحمل معه الصناع والفعلة والسحرة والمشعوذين وجر الآلات ·

وأحاط الجيش بالمدينة · وحاول الصناع والفعلة **فتح الابواب وتسلق الاسوار والابراج** · وخططوا الخطط واستعملوا الآلات · **ولكن جهودهم ذهبت** سدى ، **ولم يفلحوا** فى اقتحام المدينة · فدعا الملك **بالسحرة والمشعوذين ففتحوا كتبهم واستعملوا** عقاقيرهم واحرقوا بخورهم ورتلوا **تعاوذيهم وأمروا وزجروا وقفزوا** واستعاذوا ولكن لم تفتح أبواب المدينة .

وأتى الملك رجل صالح فقال له : لم يفلح أحد فى اقتحام **هذه المدينة منذ هجرها اهلها فى** الزمن البعيد · سأدلك على مكان يبعد عن المدينة **بضعة أميال يوصل منه الى المدينة ·**

فأتى به الى سفح ربوة وقال : مر فعلتك بحفر بئر **مقداره عشر قامات** وليحفروا بعد ذلك نفقا فى اتجاه المدينة وعندما يصلون اليها وجههم الى وسطها **وعندما يصلون الى** مركز الدائرة مرهم بالبروز الى **سطح الارض · هكذا يدخل** الى المدينة . قال الملك : أتسخر منى ؟ يا رجل . سنبقى سنين طوالا نسير فى **بطن الارض وقد لا نصل الى المدينة · فقال الرجل الصالح : نعم · الطريق شاقة وطويلة ولكن لا سبيل** لاقتحام المدينة والظفر **بكنوزها الا عن طريق الاعماق ·**

واتبع الملك نصيحته . وامر بحفر النفق · وكانت المدة **التى قضوها فى** شق طريق فى بطن الارض أقصر مما كان متوقعا واقتحم **المدينة وظفر بكنوزها ·**

يا سقراط ! راجع نفسك واسلك طريق الباطن .

سقراط : أبولون ! يا اله الشمس الساطعة ! يا أمهر الرماة ! يا ملهم الراهبات المتنبئات بالغيب ! اهدنى سواء السبيل .

_ 6 _

كانوا ثلاثة فى أقصى المدينة يشربون ويتحدثون . خلفهم قرب مسندة على طول الجدار كأنها صف من الاحباش . والساقى يطوف بين الشرب يسقيهم من خمور تسيل من الاباريق كالسنة النيران . والاكواب تصطك فى الفضاء فتحدث قعقعة تمتزج بالضحكات العالية . وفتائل القناديل تبث ضياء خافتا ودخانا تتراقص فيه الاشباح . والليل الذى أسدل ظلمته على ميناء أثينا ثقيل بهيم ، يغمر السمار فيضغط على الانفاس كلما فتح الباب زبون . والبحر ضاق بالسفن الراسية فأخذ يهزها ويحطها كنائم وضعوا على صدره الصخور . وعازفة تنفخ فى مزمارها تحاول عبثا شد مسامع السمار فتبعث نغماتها فى فضاء الحانة منكسرة حيرى تعانق أنوار القناديل المترددة الهائمة .

القرمى : تبا لرب الحانة ! ألم تكفه هذه الجلبة حتى يستأجر هذه الزامرة ؟

القرطاجنى : فتاة غريبة حافية تسعى لقوت يومها بين قوم سكارى .

القرمى : الحانها غريبة وحشية تروض بها النمور فى غابات آسيا . أنا ابن أثينا لا استسيغ هذا الصفير .

المصرى : يا هذا ! متى كنت نزيل أثينا ؟ قدم أبوك منذ عهد قريب من جزيرة القرم المشرفة على البحر الاسود بضبابها وبردها الشديد وغاباتها المخيفة . متى احتضنك القوم حتى تشبهت بهم ؟ فانت الدخيل المنبوذ .

القرمى : وما يهمنى من أمرهم ؟ ورثت عن أبى مصنع سلاح يعمل فيه عشرون عاملا . القوم يتهيؤون للحرب وأنا أبيع لهم السلاح بالثمن الذى أرتضيه . هم يستعدون لخوض غمار البطولات وأنا انمى ثروتى . أنا من هذا البلد بحكم المصلحة .

المصرى : وما هى حضارة هؤلاء ؟ أثينا كلها لا تعدل فى عدد افرادها اصغر قرية من قرانا • ومجدهم لا ينافس مجدا تشهد عليه معالـم تناطـح السحب وتبسط ظلها على الصحارى .

القرمى : اسكت يا مصرى ! أنتم فى عدد النمل ولكنكم مخذولون تخضعون لكل حاكم ولو كان طاغية . بنيتم الاهرام تحت لفح السياط ومات منكم الآلاف قهرا وكمدا • ولمن بنيتموها ؟ بنيتموها للاموات • حضارتكم مـوت وزهـد فى الحياة •

المصرى : نحن سماد الارض . نخصبها بالكد والجد وعرق الجبين . لولانا لجرى النيل فى صحراء جرداء لا حياة فيها • فنحن بعثنا فيها الحياة • والموت والحياة صنوان • هل تعلم أن سفينتى مشحونة بحنطة مصر • لـولا حبـوب مصر وبقولها لما استطاعت أثينا أن تطعم أهلها . نتاجهم الشعير والزيتـون وشىء من التين قليل • أهملوا حقولهم وتكدسوا بالمدينة واشتغلوا بالسياسة. والسياسة لا تطعم أهلها •

القرمى : لجأوا الى المدينة واحتموا بأسوارها حفاظا عـلى كرامتهم وسعيـا لممارسة حقوقهم المدنية • يقضون وقتهـم فى الاجتماعات واصـدار القرارات ومراقبة تنفيذها • يقود المدينة الخطابون ورعاة المعز • ولا ضير • ما دمنـا ــ نحن الاجانب المستوطنون ــ نجلب لهم الرزق ونطعمهم ونثرى • • •

يا قرطاجنى ! أراك صامتا وما اخالك تستمع الينا • نظراتـك تسبـح فى الفضاء . حديثنا لا يعجبك ؟

القرطاجنى : انظر الى الفتاة . تنفخ فى مزمارها وتغنى ولا يعبأ بها انسان ولا يلتفت اليها أحد • انظر الى هؤلاء الناس حول الموائد • يصيحون ويغنون بأصوات قبيحة والخمر تسيل من طرفى افواههم فتلطخ ثيابهم . وهى . انظـرا اليها • تميس بين الموائد عازفة مغنية يتبعها صاحب الحانة من ركنـه بيـن القرب المسندة بنظرات حادة كرتيلاء ترقب ذبابة • ما حيلتها ؟ القوم همـج أخذ منهم السكر • عيناها بحر صخبت أمواجه • وصوتها شجى • يا للخسارة ويا للضياع ... اخرسا ... اخرسا .. استمعا اليها .

القرمى : يا قرطاجنى • بلدك حيث تغرب الشمس • وامثالك ممن يؤمون هذه الموانىء قليلون . استهوتك لانها غريبة والغريب للغريب نسيب •

الزامرة: طرحنى أبى للسباع الضارية

فلماذا التقطتنى وضيعتنى يا مثل أبى

أسير حافية القدمين ممزقة الهدوم

الحياة جرعة علقم ومضغة حنظل ٠

القرمى : يا قرطاجنى ! دعها . وحدثنا عن بلدك ..

القرطاجنى : مدينتى تملا الفضاء وتتسلق الربى ٠ دورها شامخة ذات أطباق عديدة ٠ مدينتى تقع بين الخليج والبحيرة ٠ فاذا أتى فصل الربيع أمتها الغرانيق الحمر فكانت حلتها . لها ميناءان تزدحم فيهما السفن كخيل فى زريبة تنتظر لحظة انطلاقها ٠

القرمى : من أين يأتى رزقكم ؟

القرطاجنى : من كل أصقاع الدنيا ومن أرضنا المعطاء ٠ حقولنا تنتج الحنطة فتتكدس أكواما تضيق عنها المخازن ٠ كل سنبلة فى أرضنا تحمل مائة حبة٠ وتدخل فى كل يوم الى المدينة آلاف من البقر والغنم والمعز تغص بها الطرقات فتعرقل سير المارة ٠ جناتنا تمتد على مسافة ثلاثين يوما من السير الحثيث ٠ فيها من كل الفواكه ألوان . معاصر الزيتون والعنب لا تحصى عدا . ترسل بزيوتها وخمورها فندخرها فى صهاريجنا العديدة المنقورة فى الصخر . وتدخل المدينة كل يوم قافلة فيها ألف بعير قادمة من السودان محملة بالعاج والتبر وسبائك الذهب يسوقها مئات من العبيد ٠ سفننا غادية رائحة بمنتوجات الارض جميعها تكدسها فى الميناء فنملا بها المخازن ٠ المخازن عندنا أكثر من الدور ٠

القرمى : ألم تصبكم التخمة وأنتم محاطون بهذه الخيرات ؟ هل تشتغلون بالسياسة ؟

القرطاجنى : لا ٠ نحن فى غنى عنها ٠ همنا الوحيد التصرف فيما وهبتنا الالهة بالبيع والشراء والتجارة ٠

القرمى : كيف لم تفسدكم ثرواتكم الطائلة ؟

القرطاجنى : لاننا لم نجعلها مبتغانا ولا مسعانا • نحـن فرسـان البحار المظلمة . نخوضها بسفننا الطويلة الضامرة . غايتنا التوغل حيث لم يتوغل أى انسان وديدننا اكتشاف عجائب الارض . فالبحار موطننا ومـا قرطاجنـة الا منطلق لنا وملاذ •

القرمى : اسكت • ياقرطاجنى • وانظر الى الشيخ الذى دخل يبحث عن مكان هذا سقراط الحكيم •

المصرى : ها هو الساقى يسعى اليه ويقوده الى تلك المائـدة فى الزاويـة المواجهة لنا • هل هو كبير الكهنة فى معبد الاهة المدينة ؟

القرمى : لا • انه ينشر تعاليمه على قارعة الطريق ويضايق المارة ويدعوهم الى الرجوع الى انفسهم للكشف عن مغزى سلوكهم وغاية اعمالهم •

المصرى : هذا رجل مزعج • يبث الشك فى النفـوس ويقـوض العقيدة • ومع ذلك أراه محاطا بالتقدير • أما لاحظتما صمت الشاربين ومـد أعناقهـم اليـــه ؟

القرطاجنى : أنا معجب بالرجل • جلبابه مرقع وقدماه حـافيتان وراسـه عار • حقا انه زهد فى الدنيا وآثر حياة الكفاف . ولكنه يشع علينا جميعا • عيناه حالمتان تدعوان الى فك القيود وشق الفضاء واكتشاف أصقاع جديـدة وعوالم أبكار •

المصرى : لا تسبح بخيالك يا مغربى • عيناه جاحظتان وأنفه معقف ووجهه مرهل يبعث الفزع فى النفوس . انه ليشبه العفاريت فى صحارينا .

القرمى : انظر الى بطنه السمين يهز ثوبه . يمر عليه يده وهـو يمشى . لهكذا تنحت الشياطين عندنا • الرجل شيطان •

القرطاجنى : يجلس سقراط • يضع صاحب الحانة كاسا أمامه . يمد يده الى الكاس فتطفح وتنسكب الخمرة على المائدة . يرفعها عالية ويكرعها ويضـع الكاس على المائدة فى حركة عنيفة •

القرمى : شرب الكاس الى الثمالة • يا للعجب ! ما عودنا سقراط بهذا • يدعى الى الولائم ويشرب مع الشاربين ولكنه لا يفرط ولا يتبجح • ما رأيناه يوما سكران يترنح • ما الذى جرى له الليلة ؟

القرطاجني : يقوم الآن متثاقلا ويقف . يضرب الارض بقدميه ويرفع راسه وينظر الى السقف . كأنه يستعد للرقص أو كأنه يريد أن يتكلم أو يصيح ..

والزامرة هنالك فى أقصى الحانة قد تسمرت وضغطت على مزمارها بشفتيها كأنها تتوقع أمرا .

سقراط : ثقل الليل على عاتقى فضاق منى النفس

لماذا لا ينسف هذا السقف فأرى النجوم ؟

يا بوسيدون يا اله البحر ! فك قيودى

واضرب البحر بعصاك لتنطلق السفن الراسية .

القرطاجني : الشيخ يغنى بصوت كريه متقطع ينفذ الى القلب . والـزامرة الغريبة حاولت أن تكسو لحنه بعزفها . استمعا اليها الآن . انها انطلقت تعلق على لحن الشيخ وتوشيه . انظرا . تبعد الآن المزمار عن فمها كأنهـا تريد ان تغنى بدورها .

الزامرة : أنا الصدفة الواهية ألقى بى البحر الى الشاطىء

اذا لم تدسنى الاقدام فيمحض الصدفة .

مات لبى منذ زمن بعيد فى أعماق البحار .

يا بوسيدون يا اله الاعماق متى تعود الى الروح فاحيا ؟

القرطاجني : ينظر سقراط اليها شزرا . الفتاة ترتعد . أناملها تضغط على ثقوب المزمار لتعلو بالنشيد . لقد سيطرت على الذبذبات الحائرة فعلا نغم قوى رصين ملا الحانة الى أقصى أرجائها . يعود الى الشيخ وقاره فيضرب الارض بقدميه ويمد عنقه ويرفع رأسه . أنصتا اليه .

سقراط : يا نحل أثينا انطلقى

انطلقى قبضة من شرار الى قبة السماء

ورفرفى على شفاه الآلهة

تذوق من جنيك

عسلا كالذهب المذاب

يحيي النفوس الميتة

القرطاجني : يا صاحبي ! انغرس الشيخ فى الارض وتمطط حتى كاد يبلغ السقف ٠ لكأنه جذع نخلة تشير الى السماء ولا سماء ٠ والفتاة تحاول اعادة النغم فلا تستطيع المكوث فى عليائه فتنحدر بالنشيد ٠ ها هى تستعد للغناء فتنزع المزمار من فمها ٠

الزامرة : جرادة على غصين تتململ

تحرك جناحيها لتستوى

فلا هى واقفة ولا هى طائرة

متى يستقر حالى ؟

القرطاجني : يهب سقراط من غفوته ٠ يمد ذراعيه ويلوى برأسه ٠ لكأنه سفينة رفعت قلاعها ٠

سقراط : ياخيل يونان ! يا هبة الآلهة !

ارحلى عن هذه البلاد ٠ ان أهلها همود

وسابقى الريح واقطعى الحزون والوهاد

واحمليني بعيدا بعيدا الى أرض الشمال

حيث تطبق السماء على الارض فلا تبزغ الشمس الا من وراء حجاب

هنالك قوم يقضون دهرهم فى الاكل والشرب واللهو

سعادتهم أبدية لانهم ليسوا بالقوم الظالمين

القرطاجني : تلوت السنة أنوار المصابيح كما لو هبت عليها ريح . واحتارت الظلال ٠ والباب موصد ٠ والقوم سكوت ٠ لقد ملا الشيخ الحانة وخف رغم ثقل جسده . أخذ يحرك رجليه ويلوح بذراعيه كأنه يحاول أن يرقص . والفتاة تنظر اليه وتحاول أن تترحم بعزفها عن حركاته فتتعثر لان الشيخ لم يستقر ولم يعثر على الوزن الذى يطابق خلجات نفسه ٠ يتحسس ويبحث ٠٠٠ أصبح يا مصرى ! لقد تجاوزتك الاحداث ٠٠٠ يدق الارض برجليه ويحرك منكبيه

يمينا وشمالا ويرفع ذراعيـه كأنـه يستلهـم من الارض ومن السماء . كفت الزامرة عن العزف واطرقت فلا يسمع الا دق أقدام سقراط على الارض • ها هى ترفع راسها وتنظر أمامها بعينين حالمتين . وتعيد المزمار الى فمها وتصعد لحنا كأنه صرخة فى بيداء • أنصتا ! أنصتا !

الزامرة : مزقتنى العقبان وطارت باشلائى

ووضعتها على قمم الجبال •

يا آلهة السماء والبحر واعماق الارض

من يلم شتاتى ويبعث فى الحياة ؟

القرطاجنى : يا نديمى ! انظر الى سقـراط ! يرقص ويتمتـم . عثر عـلى اللحن والايقاع يرمى بذراعيه بعنف الى الامام فيهتز بطنه السمين وينتفض ثوبه الفضفاض وتتحرك لحيته الغليظة الكثة • الشرار يتطاير من عينيه •

سقراط : زمجر البحر وطما بين اضلعى والليل بهيم •

لتنطلق السفن مثل كلاب الصيد فى المسالك المجهولة

ولتصل بعيدا من هنا فى بحر الظلمات

الى حيث تغور المياه وتنفجر البراكين

ولتحاصر نافرة مزبدة المنطقة المهجورة

حيث ابتلعت الامواج القارة المفقودة

كانت آمنة مطمئنة عادلة ثم فسقت وفجرت

فأمست اسطورة من الاساطير •

القرطاجنى : يا رفيقى السكر ! جن سقراط • يرقص ويدور حول نفسه . ذراعاه مبسوطتان • كفه اليمنى مرفوعة الى السماء وكفه اليسرى مصوبة الى الارض . يدور كالخذروف وتدور معه الحانة بأسرها . والانـوار اختلطـت والظلال تصطدم بالسقف والجدران . وكأننا ــ ونحن قعود ــ مدفوعون معـه

فى رقصة جنونية . والفتاة قد اسبلت ذراعيها والصقت مزمارهـا بفخذهـا وتاهت ...

الزادرة : أنا الذبابة المزهوة

تملا الفضاء بطنينها

ولا تكترث بالعناكب المترصدة .

وخيوط العنكبوت ملاى باشلاء أخياتها .

المصرى : هل أنا فى حلم أو فى يقظة ؟ أصابنى دوار فى رأسى . لم يعـد للحانة سقف ولا جدران نحن جميعا فى الفضاء تحت قبة السماء . وفى السماء النجوم الزاهرة . والنجوم تتلالا . وسقراط ؟ أين سقراط ؟... **انه ما انفك يرقص ويدور حول نفسه .**

سقراط : ثقل جسمى وصدأ عقلى وأنا أبحث عن الحقيقة .

الحقيقة أقرب الى من حبل الوريد ولم أعثر عليها ،

لانها مغلولة فى قرارة نفسى .

أيتها النفس انطلقى فى مجارى السماء مع الكواكب السيارة

ويا أيها الجسد حاول التعبير عن سكينتها بالرقص والغناء

يهزأون بى . يسخرون منى . لانى خلعت العذار

يهزأون بى . يسخرون منى . لانى فقدت وقارى

وما الوقار ازاء كشف الحجب ؟

وتوجه سقراط مترنحا نحو الباب وفتحه وابتلعه الليل .

الطاهر قيقه

لا مَزيدَ عليها .. ولكنْ تَزيد !

شعر : الصادق شرف
(أبو وجدان)

الى روح والدى فى ذكرى كل فجر
من يوم التحاقه بالرفيق الأعلى

لأنك ترفض ان تستمرَّ الحياة بوجهين ..
تكرهُ ان تعدّد فيها الجباهْ ..
رأيتك اذ اصبح الوجه في الوقت وجهين اسلمت هذا
الى مشعل الموت للاغتسال ، فأينَ المياهْ !؟
واسلمت يا ابتي وجهها الآخر اليوم للطهر ،
عطشانَ كنتَ تُهيىءُ نفسكَ صوبَ الالهْ ..
وكانَ صديقكَ يبسم ، يمسح بالدمع عنكَ غبارَ الحياهْ ..
يجفف دمعا بكفٍ ، وكفٍ تشد خيوطا من الضوءِ ،
يشعرُ باللفح حتّى ليزرع قلبَه فوق الشفاه ..
قرَنْفلة الحزن ، كان يناديكَ : آهْ !:
علاَم تركتَ لنا الهمَّ والغمَّ ؟ كيف تسافر والليل جن دجاهْ ؟

* * *

صديقك كان ... ومازلتُ أسمعُ صوتَكَ فيه أجشّ ،
يُناديك جامعنا هلْ تلبّي نداهْ !
وكنتُ يتيما مِنَ الأمّ ، بعدكَ يا ابتاهْ
انا صرتُ اكثرَ يُتما فوا أبتاهْ !
تحدّرَ بعدكَ كلّ الذي كان يصعدُ بي في جبال التحدّي ...
قد انهدّ ركنان مِنْ بيتِ عمري
فهدّدني السقفُ ، رحماك يا سقف هلْ تستلذّ بهدّي ؟!
وأوهمني الودَّ ان الرفيق يصيرُ بديلا اليكَ ..

أيا أبتي خيّبَ الظنَّ ودّي ..

* * *

ركبتُ اليكَ ، مع الفجرِ ...
فارقتُ قريتنا في اتّجاهكَ .. دون اتجاهْ ..
كأنك أعدمتَ كلَ اتّجاه اليك ..
والقيت خلفكَ هذا الزمانَ الرديء ..
وكنتُ اذا ما اتجهتُ اليك تجيء اليَّ ...
وها انت تهربُ ... تهربُ حينَ أجيءْ ..
وترفعُ بيني وبينكَ سدا ، جدارا ،
ولكنّ وجهك مازال حيًّا يُضيءْ ..
امامي مواعيدَ حبٍّ ، وتقْوى ،
وصوتُك مازالَ في مسمعيَ صداهْ ...
يهزّ فضاء سكوني ...
يُناجي مدينتنا تتطهّرُ في الفجرِ حين ينادي : « الصلاةَ الصلاهْ ..»(*)

* * *

وهذه كفُّك ممدودةٌ
لفمي تحملُ الخبزَ ، والكعكَ ، تفسخ قطعةَ حلوى من القشرِ ،
فاليومُ عيدٌ .. وأقدسُ عيدْ !
وتلتذُّ في العيد أنك تبيضُّ ثوبا وقلبا ،
وتزرعُ في حقلِ أحزاننا فرحة لا مزيدَ عليها
ولكن تزيدُ ، تزيدُ ... تزيدْ !
فتوقظ بالشمس ابوابَنا ، حين تمسحُ بالخير أهدابنا ،
تتجلّى جلالا ، تعلقنا فوق شرفة كلَّ صباحٍ جديدْ ..
تجوعُ لنشبعَ يا أبتي .. والمحبة منكَ لنا
هي احلى رغيفٍ .. وأشهى ثريدْ ..

* * *

(*) يشير الشاعر الى أن والده كان مؤذنا اماما بالجامع الكبير بمنزل تميم ، وكان يحب خدمة الأرض ، حين يغشاها بالمسحاة اذا طلع النهار .

وكان أخي لا يحب الدراسةَ يا أبَتِي ،
كَان يقفزُ فوق عيون المعلّمِ ، يحطّمُ حتى لجامَ الحديدْ .
وكان يُتاجر بالصُّوَر المشتهاة يبيع الرفاقْ
ويُنفقُ كلّ الرصيد ، ويبقى بدون رصيدْ . !
يعود الى صُور كانَ يمنحنيها المعلمُ في الخطّ ...
في حفظ شعر البطولة ...
يا لَلْمُعلم ! كَمْ كَانَ حَفَّظني مِنْ قَصيد ؟

* * *

فلا الصورُ المشتهاة تبَقّتْ
ولا بقيَ الخطّ عندى جميلا...
ولا شعر كُلٍّ البطولاتِ بعدك أنت يعيش عزيزا ،
فَقَدْ مَاتَ ..مَاتَ ذليلا..
وتلك البنودُ التى حمّلتنى إياها معارك شعبي ..
على صهوة المجد للمجد كانتْ سبيلا ..
وصارت مِنَ الدّم حمراء حتى اخضرار الطريقِ اليكْ ...
...وتُشرق تلك البنودُ من الشرق للغرب ابكى عليها ،
ولم ابك يوما عليكْ..
أ أبكيك أنتَ ؟ وأنتَ أبي كنتَ تمسح دمعي بكلتا يديكْ ..

* * *

وما كنت ابكي لأني فقدت يديكْ ،
ولكن سأبكي ! وما زلتُ أبكي البنودَ ! ودمعيَ مازال منْ مقلتيكْ !
سأبكي البنودَ إلى ان تهبَّ ،
فتمسحَ دمعي ودمعَكَ يا ابتاهْ ..
تطهّر منا الجباهْ
فمن مات يوما ليَصنع شيئا ؟
كما متّ انتَ لتصنعَ للشعبِ روحَ الحيَاه ،
ومتّ تهندس فينا وجودا جديدا ،
ومسحاةُ شغلكَ كَانَتْ بكفكَ حينَ توجّهْتَ صوبَ الالهْ .
تونس : 12 — 11 — 1979

مِنْ مشاكل الحكم في العالم الاسلامي

د. محمد فاضل الجمالي

ها هو القرن الخامس عشر الهجرى يطالعنا والعالم الاسلامى قد تيقظ من سباته الطويل وبدأ يبحث ويعمل فى سبيل مستقبل زاهر ويروم حمل رسالة الاسلام رسالة التوحيد والعدل والرحمة والاخاء والسلام الى بنى الانسان فى كل مكان . ولاجل ان يحقق نهضته ويحمل رسالته لابد للعالم الاسلامى من استعادة قوته وتجديد حيويته ، بالرجوع الى منابع القوة والحيوية أولا وعلاج ما انتاب الجسم الاسلامى من علل واوصاب ثانيا .

ولما كان « جهاز الحكم » فى العالم الاسلامى هو الوسيلة المعول عليها فى تحقيق النهضة وفى علاج الامراض وحل المشاكل التى تعانى منها الامة لابد من البدء بدرس هذا الجهاز ومعرفة ما ينتابه من نقص أو ضعف والعمل على تقويته ودعمه ما استطعنا الى ذلك سبيلا . فنحن ندعو لان يكون البناء الاسلامى الجديد بناء قويا راسخا شامخا لا تزعزعه العواصف والزلازل ان شاء الله !

ليس القصد من كلمتنا هذه تقديم دراسة معمقة وشاملة لمشاكل الحكم فى العالم الاسلامى اذ أن ذلك يتطلب تعاونا من قبل العديد من العلماء والباحثين فى نواح اختصاصية متعددة كما يتطلب مدة كافية قد تستغرق السنوات لا سيما اذا أريد القيام بدراسة ميدانية فى مختلف اصقاع العالم الاسلامى . ان ما نستهدفه فى هذه الكلمة يقتصر على توجيه الانظار الى بعض مواطن الضعف البارزة فى حياتنا السياسية وانظمة الحكم فى العالم الاسلامى معتمدين على خبراتنا الشخصية فى حقل التعليم والسياسة وعلى دراستنا الدينية والعلمية والتربوية .

وقبل الخوض في البحث نود أن نؤكد بأن بحثنا هذا وما قد يحويه من نقد بريء ليس موجها الى حكومة معينة من الحكومات الاسلامية أو الى شعب من شعوبها اذ نحن نكن الحب والاخاء لكل الشعوب الاسلامية بلا استثناء كما نحمل الاحترام والتقدير لجميع الحكام المخلصين العاملين في البلاد الاسلامية وعلى رأسهم الملوك والرؤساء والامراء وندعو لهم جميعا بالتوفيق والسداد ٠

تخطر لنا ونحن نعالج هذا البحث اسئلة ثلاثة سنحاول الاجابة على كل منها بايجاز وفي حدود خبرتنا :

1) العوامل المؤدية لمشاكل الحكم في العالم الاسلامي ما هي ؟
2) نماذج من مشاكل الحكم وطبيعتها ؟
3) ما هي مقترحاتنا للتغلب على هذه المشاكل ؟

ها نحن فيما يلي نعدد بعض العوامل المؤدية الى مشاكل الحكم في العالم الاسلامي :

1) **ضعف التربية الدينية والاخلاقية** : العالم الاسلامي في كل بقاعه يشكو من الجهل ومن الامية . والمسلمون لم يتعرفوا عمليا على الاخلاق الاسلامية التي جاء بها القرآن الكريم وطبقها الرسول الاعظم في سيرته الشريفة ٠ ان العديد من المسلمين يحفظون القرآن كلا او جزءا ولكن حفظهم هذا هو للتبرك أكثر منه للتطبيق والعمل بموجب أحكامه ٠ فالكثيرون من المسلمين ينسون عند التطبيق العمل بموجب قوله تعالى :

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (الأنبياء 92)

« ٠٠٠ وشاورهم في الامر ٠٠٠ » (آل عمران 159)

« ٠٠٠ وأمرهم شورى بينهم ٠٠٠ » (الشورى 38)

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ... » (النساء 58)

« يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ٠٠٠ » (النساء 59)

« ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون » (الجاثية 18)

« انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم ... » (الحجرات 10)

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ... » (آل عمران 103)

« ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء ... » (الانعام 159)

«ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » (آل عمران 104)

« واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » (الانفال 46)

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... » (الانفال 60)

« ... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » (التوبة 34)

« والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحرم » (المعارج 24 و 25)

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (المائدة 2)

« فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (قريش 3 و 4)

هذه نماذج لآيات بينات تحتوى على مبادىء للحكم الصالح للانسانية قاطبة لو طبقها المسلمون (حكاما وشعوبا) على حياتهم لكانوا أقوى أمة فى العالم اليوم . ان معظم البلاد الاسلامية تهمل تدريس القرآن فى الدراسة الجامعية لكل الطلاب بينما تعنى بتدريسهم النظريات والفلسفات المستوردة من الخارج من الشرق أو الغرب . ولا يفوتنا أن نتذكر أن ملايين المسلمين الذين يعيشون فى البلاد الشيوعية قد لا يحظون بقسط من التربية الاسلامية على كل حال .

2) **الانشطار والانقسام** فى داخل صفوف الامة بسبب اضطراب العقائد والتراخى فى القيم الروحية والاخلاقية . فجهل بعض المسلمين بحقائق دينهم وتمسك البعض الآخر بدينهم . ادى الى انقسام المسلمين على أنفسهم فى داخل كل قطر اسلامى وبين قطر وآخر . فالحكومات الاسلامية اليوم منها ما هو اسلامى ومنها ما هو علمانى . وهناك شعوب اسلامية تخضع للحكم الالحادى . كلنا يعلم مثلا ان الزعيم مصطفى كمال (اتاتورك) الغى الخلافة الاسلامية وادخل العلمانية والتشريع الاوروبى فى حياة الشعب التركى

المسلم . والنتيجة هى أن هذا الشعب الكريم المسلم لم يستطع هضم **كل ما جاء به مصطفى كمال** من مسخ للشخصية الاسلامية . **فعادت الروح الاسلامية** الى تركية بعد موت مصطفى كمال برد فعل عنيف . وها نحن اليوم نقرأ ونسمع عن المآسي التى تحدث نتيجة التصادم بين حملة العقائد والافكار **المتضاربة فى شقيقتنا العزيزة تركية** .

3) **الاستعجال فى فرض النظم الغربية على الشعب** من قبل بعض الحكومات الاسلامية . وهذا ما قام به كل من **ملك الافغان أمان الله وشاه ايران** المتنحى محمد رضا بهلوى . وفى كلتا الحالتين ثار الشعب على الملك واضطره على مغادرة البلاد . ليس من يجادل فى أن **حياة الشعوب الاسلامية ينبغى أن تتطور** بتطور العلوم والتقنيات وأساليب التنظيم الحديث . ولكن **فرض قوانين** وأساليب حياة اجتماعية **تقليدا للغرب او الشرق باسم الرقى او** الحرية ليس من المصلحة فى شىء . لا سيما اذا كان فى **هذا التقليد السطحى** ما **يتنافى مع التقاليد** القومية والشريعة الاسلامية . ان نتيجة **هذا الاستعجال هى التضارب** والتصادم بين ابناء الشعب المسلم الواحد **وبينه وبين جيرانه** احيانا .

4) **ان هذه الانقسامات** والتضارب فى الافكار والثقافات **داخل أى بلد** اسلامى قد تؤدى الى تدخل الاجنبى بالفعل . وقد يكون **التدخل هذا بدعوة** من نفر من ابناء الشعب المسلم ممن **تشربوا بالافكار والعقائد المستوردة** والذين يجدون فى الاجنبى عونا لنشر آرائهم وبسط سلطانهم . **وهذا ما** حصل فى افغانستان مؤخرا وهو عودة الى عهد الاستعمار من جديد .

5) **المبالغة فى التخلف عن السير فى ركب التطور** الفكرى والاجتماعى باسم التقاليد . والمبالغة فى الجمود كالاستعجال فى **التقليد والسير وراء** الشرق او الغرب . انه مما يولد المشاكل وقد يدفع البعض **الى تبرير الثورات والاضطرابات** .

6) **وجود هوة عميقة بين الحكومة والشعب** فى العقائديات أو المستويات الثقافية أو المذاهب الدينية أو العنصرية أو الاقليمية أو الجنسية **أو الطبقية** . **كل هذه الفروق** اذا استغلت وسيء استخدامها قد تولد **مشاكل للحكم فى العالم الاسلامى** وقد تؤدى الى القلاقل وعدم الاستقرار .

7) **ندرة الزعامة المؤمنة الحكيمة الشجاعة** . وندرة العلماء والمفكرين الذين يقرنون علمهم بالحكمة والشجاعة الادبية النابعة من الايمان بالله . ويرجع ذلك الى ان معظم المسلمين الذين يدرسون في ديار الغرب أو في معاهد تعليمية فى بلادهم تسير وراء الغرب لم يحصلوا على القسط الكافى من التربية الاسلامية . والبعض منهم قد لا يعرف ما يحويه القرآن الكريم من مبادىء انسانية سامية تنظم حياة الانسان الخاصة والعامة من كل جوانبها .

8) قيام عناصر من الشعب **تتغلب عندهم العاطفة على الفكر** يحسنون التأثير على عواطف الجماهير فيسوقونهم الى اعمال العنف والفوضى فيضطرب حبل الامن والنظام فتستغل ذلك العناصر الهدامة التى تريد فرض عقائديات لا يقبلها الشعب المسلم المؤمن .

9) **غزو المدنية الغربية** بخيراتها وكمالياتها ومفاتنها ومفاسدها **للعالم الاسلامى** . تضاعفت الاحتياجات الفردية . كثر الاستيراد **وضعف الانتاج المحلى** فى معظم انحاء العالم الاسلامى ، تسرب الفساد ، طغت المادة ، **ضعفت الضمائر الاخلاقية** ، النتيجة مشاكل للحكم فى العالم الاسلامى .

10) **مهام الدولة الحديثة اتسعت وتعقدت** بسبب ما انتجته العلوم الحديثة من مخترعات متطورة تتطلب اختصاصات متنوعة . **والحكومات والشعوب الاسلامية** منساقة الى الاخذ بنتاج العلم الحديث فى كل مناحى الحياة : الصناعة ، الزراعة ، الطب ، والمواصلات ، ووسائل الاعلام والتسلية . ثم جاء التخطيط الشامل للحياة الاقتصادية وهو اما ان يكون تخطيطا مفروضا من قبل حكومة سلطوية على الشعب تنفيذه أحب ذلك أم كره،أم انه تخطيط حر تشارك فيه المؤسسات والهيآت الخاصة الى جانب المؤسسات الحكومية .

هذه نماذج من عوامل تضع مشاكل جديدة أمام الحكومات فى العالم الاسلامى . وها نحن فيما يلى نشير الى بعض المشاكل التى يجابهها الحكام واخرى تجابهها الشعوب .

1) **مشكلة اختيار الحاكم** : **ان هذه المشكلة وجدت فى صدر الاسلام بعد** وفاة النبى عليه الصلاة والسلام مباشرة . فانقسم المسلمون على من يتولى الخلافة . وبعد عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين أصبح الحكم ملكا **وراثيا وانقسم العالم الاسلامى الى دول ودويلات . واخذت العصبية والمذهبية**

والعنصرية تلعب دورها في الثورات والانقلابات • مما ادى الى ضعف الكيان الاسلامي وتوقف اتساع الرقعة الجغرافية للعالم الاسلامي وضاعت الاندلس ! وتفككت عرى الوحدة بين المسلمين وساد الخلاف والتعصب والجمود مما سهل على الاستعمار الغربي الاستيلاء على العالم الاسلامي قطعة قطعة ! ولم تنته الحرب العالمية الاولى الا وقد سيطر الغرب على العالم الاسلامي كله تقريبا من المحيط الهادى الى المحيط الاطلسي • ثم بدأ الكفاح المرير بعد الحرب العالمية الاولى لاسترجاع الذاتية القومية في العديد من انحاء العالم الاسلامي • واليوم وقد حقق المسلمون استقلالهم السياسي في معظم اقطارهم نجد أن مشكلة تسنم سدة الحكم ما زالت قائمة في العديد من اقطار العالم الاسلامي .

فها هي افغانستان البلد المسلم المؤمن تعاقب على راس الحكم فيها اربعة رؤساء في مدة لا تزيد على السنتين غادر الحكم الثلاثة الاول منهم مقتولين وفرض الرابع على الشعب الافغاني بقوة دولة خارجية ، كل هذه التقلبات تحدث والشعب الافغاني لم يبد رأيه في مجيء هؤلاء الحكام او ذهابهم • ان هذه المشكلة تدلنا دلالة واضحة على أن التعاليم الاسلامية لم يؤخذ بها في اختيار الرئيس الافغاني • فالقرآن الكريم يتطلب ان يكون اولو الامر الذين تجب طاعتهم من الشعب وباختيار الشعب ففي قوله تعالى « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولو الامر «منكم» و«منكم» تعني في نظرنا ممن وقع اختياركم عليه ، وما يقال عن افغانستان يصدق على عدة بلاد اسلامية اخرى حيث رئاسة الحكم تكون عرضة للعواصف والزلازل • ومن اكبر مشاكل الحكم في العالم الاسلامي هي مشكلة تأمين مجيء الرئيس الى الحكم سالما وخروجه منه سالما مكرما • فالمؤامرات والانقلابات التي منيت بها بعض الاقطار الاسلامية ليست من الاسلام في شيء لو سارت الامور على هدى الروح الاسلامية •

٢) **مشكلة ضمان الاستقرار والاستمرار :** ان المؤامرات والانقلابات التي تحدث في العالم الاسلامي تعني زوال الاستقرار ومعنى ذلك فقدان الاستمرار ولا سيما في مشاريع الانشاء والبناء. اذ ان اول ما يقوم به الحاكم الجديد أحيانا هو ايقاف او الغاء الكثير مما تحقق على عهد سلفه من تخطيط وانشاء . ان النهضة الاسلامية الحديثة تتطلب الاستمرار . والاستمرار يتطلب الاستقرار . ولذلك ما دام الحاكم الشرعي يتمتع بالجدارة والشرعية فالخروج عليه يصبح مخالفا لاحكام الشريعة الاسلامية التي تفرض الطاعة « واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » • فالعالم الاسلامي اليوم في حاجة ماسة للعمل بمنطوق هذه الآية الكريمة لضمان الاستقرار والاستمرار في الحكم .

3) **مشكلة المحسوبية والمنسوبية والمحاباة فى الحكم :** فى العديد من انظمة الحكم فى العالم الاسلامى قد يعتبر الحاكم نفسه غير مسؤول . فيتصرف وكأنه يملك البلاد والعباد . وتلعب المحسوبية والمنسوبية والمحاباة دورا بارزا فى توزيع المناصب والخيرات . **فالعلاقة العائلية او الجاه والمال او اللون او الجنس او المذهب كلها قد تؤثر في ميزان العدالة · نتيجة ذلك قلة الكفاءة فى جهاز الحكم واضرار بالمصلحة العامة التى لم تستفد من مواهب البارزين المستحقين · ومن ابرز مساوىء المحاباة** فى الحكم ان البعض قد يلجؤون الى «الواسطة»لنيل حقوقهم لانهم غير مطمئنين الى **ان الحاكم يصغى الى مطالبهم · وفى ذلك اضعاف للثقة بجهاز الحكم · وداء « المحسوبية » و « المنسوبية » والمحاباة متفش مع الاسف الشديد فى العديد من البلاد الاسلامية ·**

4) **مشكلة المركزية الخانقة والبيرقراطية المفرطة :** فى العديد من بلاد العالم الاسلامى يصعب على الفرد صاحب المصلحة فى **الجهاز الحكومى أن** يبلغ مناه بسهولة · **ذلك** لان القضية الواحدة **ينبغى أن** تمر على أيد عديدة حتى تصل الى المرجع الاعلى ليبت فيها · **فاذا كان صاحب الحاجة فلاحا او بدويا** قادما من خارج العاصمة فانه قد ينتظر **الايام والاسابيع قبل أن يتسنى له** مقابلة المسؤول · وما زلت اتذكر عربيا من **عشائر الفرات** فى العراق جاء الى بغداد ليراجع وزير الداخلية فى قضية تخصه . **انتظر يومين ولم يستطع مقابلة الوزير · ولما عيل صبره نظم بيتين من شعر شعبى يقول فى مطلعه :**

ترضى انت تقف على الباب يومين لو أن آنى وزير الداخليه ؟

فاستدعاه الوزير ونظر فى قضيته فورا . فان تعدد المراجع وتعقيد المراجعات هى من مشاكل الحكم فى العالم الاسلامى . فالمسألة التى يمكن أن يبت فيها من قبل موظف كفء واحد قد تتطلب ان تمر على ثلاثة مراجع فاكثر . وفى ذلك ضياع للوقت واسراف فى التشكيلات الادارية عدا عن جعل **ابناء الشعب يتذمرون من المصاعب التى يتحملونها فى سبيل المراجعات ·**

5) **الرشوة والفساد :** يعانى الحكم فى العديد من البلاد الاسلامية من مرض الرشوة التى يتقاضاها المؤتمنون على مصالح الشعب . فلا تسير المصالح

العامة فى بعض الحالات الا بتسليم مبلغ من المال الى الموظف المسؤول • وقد يصدق هذا حتى على بعض البلاد المتقدمة فى المستوى الثقافى أو البلاد الغنية بالثروة . وقد يكون مرد ذلك الى الحاجة المادية فى البلاد المتقدمة ثقافيا والى الطمع فى البلاد الغنية بالثروة . والمهم ان تتخلص البلاد الاسلامية من هذا العار كما نرجو ان تتخلص من التسول وذلك بتحقيق مشاريع انسانية .

6) **مشكلة الصلة بين الحكومة والشعب** : ان الصلة ضعيفة بين الحكومة والشعب فى العديد من البلاد الاسلامية • ففى العديد من الحالات الشعوب تقرأ وتسمع ما تريد الحكومة منهم أن يقرأوا ويسمعوا • وبعض الحكومات تسوق الشعب بالسوط وبالارهاب • هناك كبت فكرى ونفسى فى العديد من البلاد الاسلامية . الامر الذى قد يؤدى الى تفشى مرض النفاق والتزلف للحاكم او يدفع الى التآمر او الدس على الحكومة او الوقوع فريسة لمستعمر خارجي ينفذ عن طريق المنشقين . الى احتلال البلاد .

قليلة هى الحكومات الاسلامية المثقفة (بكسر القاف) للشعب والتى تعمل دوما على تنوير الجماهير بحقائق الامور وتطلعهم على ما يمكن تحقيقه وما لا يمكن فى الشؤون الداخلية والخارجية ، انها لا تدعى الكمال وتفتح أذنيها لسماع النقد النزيه والاعتراض المعقول .

ان مبدأ الشورى فى الحكم وهو جوهر الديمقراطية باسمى معانيها هو ما يضمن الصلة الحميمة بين الحكومة والشعب . فمبدأ الشورى فى الحكم يتطلب استنارة الحكومة دوما بآراء ذوى الخبرة المهتمين بشؤون الشعب والذين يمثلون الشعب تمثيلا صادقا • انه يتطلب تثقيف الشعب باستمرار، وانقاذه من ذوى الجهالة او الضلالة •

7) **مشكلة ضمان التوازن والانسجام** بين مصالح الهيئات والجماعات فى الداخل والمحافظة على الاخلاقية والقانون وضمان التوازن الدولى فى الخارج . ليس نادرا ان نشاهد اهمالا نسبيا للريف ومحاباة المدن فى بعض البلاد الاسلامية . أو الاهتمام بالصناعة واهمال الزراعة او بالعكس . أو الاهتمام بالطبقة الموسرة على حساب الطبقة المحتاجة . او الاهتمام بابناء طائفة دينية على حساب طائفة أخرى . وهذا ما يضر بوحدة الامة ، ولذلك فالحكم فى العالم الاسلامى يتطلب عدلا شاملا وحكمة تحقق الانسجام والتوازن على قدر المستطاع •

وما يقال عن الانسجام والتوازن فى الداخل تجب مراعاته فى الخارج . اذ ليس من السهل التعامل مع أنظمة دولية مختلفة البعض منها مناهض للاسلام وللعقيدة الاسلامية وفى الوقت نفسه المحافظة على السلام وعلى القانون الدولى. فالعديد من البلاد الاسلامية مضطرة ان تنحاز الى هذه الجهة او تلك الامر الذى يسبب الخلافات بين بعض البلاد الاسلامية احيانا . ومن حسن حظ الجمهورية التونسية انها من البلاد النادرة فى العالم التى توفقت بحكمة قيادتها ان تحافظ على التوازن وعلى القانون والنظام الدوليين فتكسب احترام جميع دول العالم .

8) **مشكلة المعارضة** : فى العديد من البلاد الاسلامية أحزاب او هيئات معارضة للحكم . وهذه المعارضة تكون مفيدة وضرورية فيما اذا توخت التجرد التام من الاغراض الشخصية وترفعت على الصغائر وتحلت بالروح الرياضية التى تتطلب الانصاف والتسامح ، ومن المؤسف فى البلاد الاسلامية هو أننا كثيرا ما نجد الحكومة والمعارضة وكأنهما طرفان متخاصمان فسرعان ما تستحيل المعارضة الى خصومات شخصية . والدين الاسلامى يعتبر المعارضة ان وجدت ضمن نطاق الشورى . فالحكم الشورى الاسلامى يستفيد من تعدد الآراء ويأخذ بأحسنها . والدين الاسلامى يعلمنا «التواصى بالحق والتواصى بالصبر» فنرى ان يكون هذا التواصى واقعيا واخويا فى كل بلاد العالم الاسلامى . فالاكثرية لا تضطهد الاقلية ولا تهضم حقوقها . والاقلية لا تغدر بالاكثرية ولا تضمر لها الدسائس . مصلحة الامة فوق مصلحة الفئات والافراد .

4) **مشكلة سرعة السير** : ان متطلبات الاصلاح والاعمار فى العالم الاسلامى لا حد لها فكل العالم الاسلامى تقريبا يريد القضاء على التخلف . وكل دول العالم الاسلامى تقريبا تنتمى الى معسكر العالم الثالث . فسرعة السير فى الانشاء والتعمير والاصلاح قد لا ترضى المتحمسين المثاليين الذين يريدون اللحاق بالدول المتقدمة باسرع وقت وباقصر السبل . انهم يطالبون بمجاراة روح العصر التى تتسم بالتخطيط وبالسرعة وبالدقة . وهم على حق فى كل ذلك . ولكنهم قد ينسون بان طموحاتهم المشروعة تتطلب المال كما تتطلب الخبرات والاطارات واعداد الشعب لهضم حركة التقدم السريع . انهم قد يتحاملون على الحكومات القائمة وقد يتهمونها بالتقصير . لا ينكر أن بعض الحكومات قد تبطىء فى سرعة السير بسبب البروقراطية والجهاز الادارى العتيق . كما ان بعضها قد يقصر فى تكوين واعداد الاطارات الفنية وتهيئة

الظروف المرغبة للاطارات لان تعمل بشوق وحماس فلا تهرب من **الاوطان** فتمنى البلاد بهجرة الادمغة • هذه المشكلة تتطلب من **الحكومات الاسلامية** الاعتدال والاتزان فى سرعة السير مع التأكد من صحة الاتجاه وسلامة الطريق •

10) مشكلة الاشاعات المغرضة وبث روح التذمر فى الناس : هذا داء منيت به كل البلاد الاسلامية تقريبا • وقد صدق **الشاعر العربى فى قوله** :

ان نصف الناس أعداء لمن ولى الاحكام هذا ان عدل

فالحكم فى البلاد الاسلامية معرض للتهم المغرضة والاشاعات الكاذبة من قبل أناس لم يسمعوا قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (الحجرات 6)

ان المسلمين عامة قد ابتلوا فى عهود التخلف والانحطاط بداء التزلف والنفاق الى الحكام ، او مهاجمة الحكومة فى المحافل الخاصة وكيل التهم الظالمة للمسؤولين بلا رحمة ولا انصاف . انها فى الغالب نزعة سلبية وهدامة ضد الدولة . فالدولة خصمه وهو لا يقصر فى النيل منها او الاضرار بمصالحها . فهو يتهرب من القانون والضريبة ان استطاع • هذه معضلة **اجتماعية** نفسية تربوية اذ انها أخذت تتسرب الى الاجيال الصاعدة • فالمهم تقوية التربية الدينية والمدنية فى المدارس والمؤسسات الثقافية ليعلم الناس وفى طليعتهم الجيل الصاعد بان الدولة هى دولتهم وانهم منها ولها . فكل ما ينسب للدولة من نقد جارح او اتهام انما يوجه لانفسنا . نحن الدولة جميعنا وكلنا مسؤولون عن الدولة . « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . البعض يتذمر من ظروفه المادية • حقا ان تكاليف الحياة اصبحت مرهقة فى عصرنا هذا والشكوى فى هذا الباب عامة فى كل انحاء العالم • والدولة فى عصرنا هذا تبذل مجهودا لرفع المستوى المعاشى ولكن وسعها محدود ولا تستطيع أن توجد شيئا غير موجود . والاعتراض الوجيه على الحكومات الاسلامية فى هذا الباب هو ان البعض منها يسرف ويبذر فى ثراوته الواسعة بينما هناك اخوان له يقاسون الفقر والجوع والمرض فى العالم الاسلامى • ولنذكر قوله تعالى : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (المعارج)

وارجو ان نتذكر دوما بان الحكم فى العالم الاسلامى معرض دوما لما يبثه اعداء العروبة والاسلام من دعايات مغرضة ومؤامرات هدامة قد يوحون بها الى نفر من المسلمين فيقومون بها من حيث لا يعلمون •

ومما يدعو الى الاسف ان بعض الاشخاص وحتى بعض الحكومات قد تقع فريسة للاغراض الصهيونية او الشيوعية فتقوم بالتآمر او النسف او احلال الفوضى والاخلال بالامن وهى لا تدرى انها بعملها هذا تخدم المصالح الصهيونية او الاستعمارية ذلك ان الصهيونية تعتبر الخلافات بين الدول العربية هى من مقومات كيانها وعاملا من أهم عوامل بقائها .

كيف السبيل ؟

ان المشاكل التى عددناها آنفا والتى تتناول الشعوب والحكومات فى العالم الاسلامى ليس المقصود منها تقديم صورة قاتمة ونظرة متشائمة حول حاضر العالم الاسلامى ومستقبله . بل على العكس المقصود شحذ العزائم وتقوية الهمم لتحمل كل منا حسب وسعه مسؤولية النهوض بالمسلمين وتوجيههم نحو مستقبل زاهر لهم وللانسانية جمعاء . ونود ان نؤكد هنا بان عرضنا بعض النقائص والمشاكل لا يقصد منه اغفال او انكار ان فى كل بلد اسلامى اليوم قادة مخلصين ومؤمنين عاملين جادين • وفى الحقيقة ان مهمة الحكم ليست بالمهمة البسيطة السهلة . فالحاكم الحريص على سلامة شعبه وسعادته يسهر الليالى ويذوب كالشمعة ليعبد الطريق وينير السبيل أمام أمته . وانا نعرف بالخبرة ان بعض الحكام فى البلاد الاسلامية قد يكونون عرضة للطعن والظلم من قبل شعوبهم المضللة بالدعايات المغرضة بلا رحمة ولا هوادة • وبعد تعداد مشاكل الحكم نود تسجيل الاقتراحات التالية لينظر فيها كل من يعنى بشؤون العالم الاسلامى :

1) دعوة المسلمين الى العودة الى القرآن الكريم ودرسه من جديد والاخذ بالمبادىء الاسلامية فى الحكم بفكر متفتح يراعى حاجة الانسانية فى عصرنا هذا •

2) أن تقوم التربية فى البلاد الاسلامية بتوعية الجماهير الاسلامية بان لا فصل بين الدين والدولة فى الاسلام . وان الحكم الاسلامى يتضمن قيام الفرد بتنفيذ ارادة الله تعالى ولذلك فهو حكم مؤسس على التوحيد والعدل والاخاء والرحمة • وان الشعب فى الاسلام هو الدولة• والدولة هى الشعب : بينهما وحدة وارتباط •

3) ان تفهم الجماهير الاسلامية بان الطريق الى تحقيق الخير يكون «بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر» و «الامر بالمعروف والنهى عن المنكر». أما الفوضى والغوغائية والعنف فانها لا تخدم مصلحة الانسان الانسان وهى ليست من الاسلام فى شىء .

4) ان وحدة الامة والتعاطف بين ابنائها اساس لرقيها وسلامتها فالمطلوب من المعارضين المخلصين في كل البلاد الاسلامية أن يتعاونوا مع الدولة وان يضعوا معارضتهم فى خدمة الدولة لانها تستهدف مصلحة الجميع كما ان على الدولة أن تفتح صدرها للمعارضة النزيهة وتتقبل ما عندها من آراء ايجابية تستهدف الخير العام بعيدة عن الفوضى .

5) ان الدين الاسلامي جاء ثورة انسانية . ثورة على عبادة الاصنام والظلم والبغى والفساد . انها ثورة بيضاء لم يكن فيها صراع وبغضاء بين الاخوة المسلمين ، فالحكومات الاسلامية كلها مدعوة لتحقيق هذه الثورة البيضاء التى تدعو الى الخير والحق وتقضى على الشر والظلم والفساد .

6) المأمول من الحكومات الاسلامية وهى تبنى كيانها القوى الجديد ان توحد جهودها فى سبيل انقاذ «القدس» حيث «المسجد الاقصى الذى باركنا حوله» وتعمل على شد ازر الشعب الفلسطينى ليسترد حقوقه المغتصبة فى وطنه . كما نرجو ان تعمل على انقاذ الشعب الارترى من براثن الاستعمار الحبشى . وتعمل لحماية حقوق الاقليات الاسلامية فى الفيليبين وفى سائر البلاد الاسلامية والافريقية .

7) نحن نرجو ان تقوم فى العالم الاسلامى رابطة شعوب اسلامية الى جانب رابطة الحكومات الاسلامية المتمثلة فى منظمة المؤتمر الاسلامى . ونرجو ان تكون سياسة الدول الاسلامية كلها فى الداخل والخارج سياسة ترفع رأس الاسلام عاليا أمام بقية الشعوب وان تحسن معاملة غير المسلمين ليشعر الجميع بان الاسلام هو دين الانسانية جمعاء .

كل هذا يتطلب منا جميعا شعوبا وحكومات افرادا وجماعات ان نتحمل المسؤولية معا بالتكافل والتعاون . فيبدأ كل منا بتربية نفسه تربية اسلامية صحيحة مؤسسة على الايمان والفضيلة والعلم والعمل . ولنتذكر دوما قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

د. محمد فاضل الجمالي

نقوش بالدم على صدر الحبيبة

شعر : حلمي الزواتي

1

تفاجئني الريح في ساعة الفجر
أن زواتا تشد الرحال الى الارض سرا
تفاجئني الشمس في لحظة الانصهار
بأن زواتا تحب الظلام
وتبحر في الليل طوعا وكرها
تفاجئني الشمس
ما أصعب الشمس حين تفاجىء
والجرح ينزف ما بين قلبي ويافا
ترجلت من فوق هذي السنين
توضأت بالعطر والياسمين
وبالذكريات وهذا الحنين
ولكن جرحي تنبه للمرة الالف
ان الجراح تحب شذى البرتقال
وتكدح في الصخر مثل الرجال
وتحفر درب الفدا والنضال

2

تفاجئني الريح في لحظة الانتظار
وما أصعب الانتظار وجرحي
وروحي نسافر ما بين يافا وغزه
وكل دوالي الخليل وسرو الجليل
وكرمل حيفا يعد الجنازه
هنا الحب كان
هنا الليل طاف
هنا الفجر ناح
هنا العشق يزرع روحي جراح
تبسمت من خلف دمعي
تبسمت في مدخل للمنافي
ولكن جرحي المعتق
تفتق عن نرجس بللته عيوني
فنام ونامت عيوني بين الندى
والرحيل

3

تفاجئني ....
ولا شيء عندي يفاجىء
تخشب قلبي بين السنابل والارتحال
توزع قلبي بين الحروف وحبر المطابع
ولكنني الآن لا أستطيع
لان الرياح تسوق المراكب
ويغرق للمرة الالف جرحي
ولكن روحي ستبقى تسافر

وهذا الزمان سيبقى المحاصر
وعمرى تحول ما بين يافا وغزه
طفلا رضيعا يناضل
وعمرى تحول ما بين روحى وارضى
قمحا وسيفا يقاتل
أنا لا أحب المناجل
حين تجز رقاب السنابل
أنا لا أحب الضفائر
حين يعلق فى ذيلها قلب شاعر
أنا لا أحب الرياح التى تصفع العاشقين
ولست أحب الضياء
الذى يحرق الراحلين
لانى مسافر
وأرضى تسافر
وقلبى يسافر

4

تفاجئنى لست أدرى المفاجىء
هنا نحن فى مدخل للجراح العتيقه
هنا أدخل الحاصدون الحصيد
وأحرقت الشمس كل البيادر
أنا غزة الآن جئت ....
فخذنى اليك !!
تصدع قلبى ...
توقفت ... قبلت غزة
من سهل يافا لسهل العريش
وأبحرت فيها بغير اكتراث
توقفت فى دهشة الحائرين
أنا غزة الآن جئت اليـك ... ففيـم
التردد ؟!
أنا غزة الآن عهد تجدد
أتيتك فى شهر آذار لكن جرحى تمدد

6

تفاجئنى الآن بعض العواصف
وصوت « حنون » يعانق ظلى وروحى
أحبك يا أيها البحر
انى أحبك
وجالت بصدرى المدى والخناجر
وصوت «حنون» مكابر
أحبك انى أحبك
حملت جراحى على كاهلى
وأبحرت سرا لكى لا يرانى الجنود
وألقيت كل القنابل
فشدوا وثاقى وقصوا الجدائل
أحبك حقا أحبك
ويلتحم الصوت ... يكبر جرحى
ويمطر دفئـا
وتقصف كل الرعود
فتنمو بساتين عمرى
وتكبر كل الحمائم
من يدخل الآن قلبى
يجد فيه حل المسائل
من يدخل الآن روحى
يجدنى محاطا بكل السلاسل
توحد قلبى ما بين يافا وغزه
تمزق جرحى بين الرمال ومـا بـيـن
صبره
ويأتى الزمان المحاصر
ولكننى سوف أبقى المسافر

7

تفاجئنى الآن غزة – انى أحبك –
تعلق قلبى بين الندى والنخيل
وبين المسافات والمستحيل

غريبان نحن ... بكيت على صدر غزه
غريبان نحن ... وأسرجت قلبى
وأبحرت فى الذات
أحرقت كل الحدود
غريبان نحن ... تعالى بقربى لكى لا
يرانا الجنود
غريبان انا التقينا
كريح تعانق طيرا مهاجر
فكيف أعانق نفسى بنفسى ؟!
وكيف أهرب أرضى وقلبى ؟
فليلى سدود وعشقى قيود
وأنت الظباء وأنت الاسود

8

تفـاجئنى الآن غزة ــ إنى أحبك ــ
تحاصرنى الآن غزة ــ إنى أحبك ــ
ويمتزج الصوت بالبرتقال
ويأتى المحال وراء المحال
ما بين قلبى ولون الشجر
ويرتاح ظلى وهذا الحجر
ونختزل الوقت ، نلجم كل الدقائق
ونشعل فى الفجر كل الحرائق
ونبحر عند الظهيره
وترخى زواتا الضفيره
نجدد عهدا مضى
ونزرع كل الحقول البعيده
زنابق بيضاء مصبوغة بالدماء
لتزهر فيها عيون السماء
فتسقط كل الشظايا
ونغرق فى الحب فى الـذات بعـض
النهار
ويعلو انفجار وراء انفجار

أجدد موتى وبعثى على راحتيك
لانى نسيت جراحى على باب روما
ونيرون يعرف أنى أحبك
ويعرف دقات قلبى وقلبك

9

يفاجئنى الليل من لا يفاجأ
على باب (بيروت) كانت حبيبه
على باب (بيروت) كانت بلادى
أتتنى تضمد جرحى المعتق
وهذا الزمان الجبان المنمق
يقامرنى الان
بئس المقامـر ...
فى شهر تموز روحى تهاجر ...
فى شهر تموز أرضى تسافر .
تركت يدى عند سفح الجبل
وكانوا ذئابا وكنت الحمل
وجددت موتى وبعثى
أحبك انى أحبك
ان الوطن
يداه من الجرى صارت مناجل
تجز رقاب ألوف السنابل
ويمضى النهار
ويعلو انفجار وراء انفجار
أحبك انى أحبك
ان نهايات صدرك بحرى
وقلبك قلبى
وأنت البلاد ونحن الشجر
وأنت الشموس ونحن القمر

حلمى الزواتى

بعض العبر من تاريخ تونس :

حول تكوين الدولة الوطنية

بقلم : البشير بن سلامة

ان دراسة التاريخ شائكة لانها اصبحت لا تقتصر على جمع الاحداث ونقل الاخبار وسردها ، بل انها تعد فرعا من العلوم الانسانية يعتمد الظاهرة التاريخية ويتقيد بمنهاج مضبوط بفضله تجمع الوثائق وتحلل وتنقد لاستعادة الحوادث التاريخية كما كانت عليه فى الماضى فى اطار من الموضوعية والتجرد والنزاهة والامانة العلمية التى لا تترك سبيلا الى التأويل أو التمويه أو غمط الحقائق .

غير أن علم التاريخ اذا وقف عند اثبات الوقائع وتثبيتها فقط يكون قد أخل بوظيفته كعلم لان العلم لا يقتصر على ابراز الظواهر وامرارها على التجربة والتجريب لتصيير قوانين لا يداخلها الشك بل هو يتعدى ذلك الى التطبيق فى مجال الحياة اليومية لينتفع به الناس ويتبدل حالهم من حسن الى أحسن . لان العلم للعلم ضرب من الزيف وباطل أكيد يفرض علينا ان نؤمن بأن العلم للحياة أو لا يكون .

لهذا فان التاريخ لا يمكن أن يكون أيضا تفلسفا فى الاحداث والوقائع بل يجب ان يكون دافعا للمجتمع « الى أن يعى نفسه سياسيا » وأن يتفطن الى « الروابط التى تشده بالماضى والحاضر وتهىء له المستقبل » . « فحال المجتمع اليوم منبثق من حاله بالامس وهو يشعر بثقل ما سيكون عليه غدا وان بصورة متوقعة » . فدارسة التاريخ بهذه الصورة تتعدى التفلسف فيه الى صنعه بالاعتبار به وجعله مادة دفع لحياة البشر لا اداة لتدمير العزائم وبث الفوضى وتخريب المجتمعات وخلق الاحن وزرع التطاحن .

وتاريخ تونس لا يمكن ان يكون مجرد دراسة لدول تتعاقب وقبائل تتطاحن وامبراطوريات تقام وأخرى تنهار بل يجب ان يأخذ الدارس بعين الاعتبار أن تونس اليوم ، وهى واقع سياسى واقتصادى واجتماعى وثقافى له سماته الخاصة وقوته الحية ، وملامحه المضبوطة ، لم تصنع فى القرن الثالث عشر ميلادى مع الحفصيين ولا مع حمودة باشا ولا أحمد باى بل هى صنعت من أول يوم بنيت فيه الحضارة على أديم قرطاج كنواة لامة تنشد الحياة ودولة تنظم العمران وتزع بين البشر . فكل ما تم من أحداث على هذه الرقعة أدت الى صنع تونس اليوم واقامة **الدولة الوطنية** البينة الملامح الواضحة السمات .

فدراسة تونس تتلخص من هذه الوجهة فى ضبط المراحل التى أدت الى تكوين الدولة الوطنية فى هذه الفترة دون الفترات الاخرى وحصر الاسباب التى حالت دون ذلك فى الماضى البعيد والقريب .

فكيف يمكن أن تتكون دولة وطنية على هذه الرقعة من الارض المغربية وقد تعاقبت عليها دول عديدة متباينة الحضارات والاجناس والحال ان افريقية ثم تونس لم تكن الا جزءا من مبراطوريات مختلفة ؟ ثم ما هى الدولة الوطنية وما هو مدلولها ولماذا لم تبرز للعيان الا فى الفترة الاخيرة ؟ أسئلة تستحق ان توضع لا محالة وتحتاج أجوبتها الى الخوض فى عدة اعتبارات لا مناص من اقتحامهـــا .

هذه الدولة الوطنية التى انتصبت فى هذه الرقعة من الارض الا وهى تونس والتى انتهى بها المطاف الى الانصهار فى الحضارة العربية الاسلامية تراوحت عليها منذ أول التاريخ أمم متباينة وحضارات متعاقبة أرادت كلها أن تطبعها بطابعها الخاص . فالمتتبع لسير تاريخ بلادنا يندهش لظاهرة تكاد تكون فريدة : وهى تبديل الوجهة الحضارية على الاقل خمس مرات . مع قرطاج الفينيقية البونيقية ثم الرومان وبعدهم الوندال الذين لم يلبثوا أن زحزحهم البيزنطيون ثم العرب الفاتحين وفى كل مرة ينصهر هؤلاء الاقوام فى البلاد ويشيعون حضاراتهم ويفرضون رؤياتهم الكونية ويحاولون جر أهل افريقية الى بوتقتهم ولكنهم لا يفلحون الا مرة واحدة فى التاريخ عندما قدم المسلمون وأشاعوا بين البربر دين الاخاء والمساواة والعدالة وغرسوا اللغة العربية كلغة تخاطب ولغة علم وأدب وفكر فى هذه الربوع . ولعل السبب كما أكده بعض العلماء المعاصرين هو انحدار البربر من أصل عربى .

وان هذا الانتصار ليثبته ما حل بهذه البلاد فى القرن السادس عشر من عوامل تنبىء فى العادة بتحول الوجهة الحضارية كما وقع سنة 880 قبل الميلاد مع قرطاج الفينيقية البونيقية وسنة 146 قبل الميلاد مع روما وسنة 439 مسيحى مع الوندال وسنة 534 مع بيزنطة ومع العرب المسلمين سنة 647 ميلادى . وفى كل مرة يفرض دين وتطغى لغة على سكان البلاد . ذلك أن الاسبان احتلوا تونس سنة 1535 ميلادى (942 هـ .) وبسطوا عليها ألويتهم فى حرب صليبية يقودها شارلكان ملكهم وما لبث أن حل الاتراك سنة 1575 م ليخلصوا البلاد لا محالة من الغازين ولكنهم وجهوا البلاد وجهة أخرى بحسب تقاليد دخيلة ولغة أخرى غير معروفة آنذاك : اللغة التركية .

ولكن شعب هذه البلاد الذى انساق بعد أكثر من سبعة قرون من الاشعاع البونيقى الى حضارة روما وبقى متأثرا بها ما يقرب من ثلاثة قرون لينزل تحت تأثير الوندال حوالى قرن ويعود الى البوتقة اللاطينية ويبقى أكثر من قرن فى حبالها لم تزعزعه أحداث القرن السادس عشر ميلادى اذ وجد توازنه فى الحضارة العربية الاسلامية التى انصهر فيها طيلة ما يقرب من تسعمائة سنة وأجبر الاتراك الذين حكموا البلاد عن طريق الدولة الحسينية الى الانفصال ولو بصورة شكلية عن الباب العالى فراسله أحمد باى (الباى العاشر) سنة 1838 باللغة العربية لاول مرة بعد أكثر من 250 عاما من التعثر والتحسس وتصارع القوى لان أتراك تونس كما قال المؤرخ الفرنسى شارل أندرى جوليان : « انصهروا فى بوتقة واحدة مع التونسيين لانهم وجدوا أنفسهم إزاء حضارة ثابتة الاركان وأسسوا دولة يمكن نعتها بالوطنية ألا وهى الدولة الحسينية » وهل كانت حقيقة وطنية ؟ سنرى ذلك فيما بعد .

ولكن كيف يمكن أن تكون الدول التى سبقت الدولة الحسينية منذ الفتح الاسلامى وطنية (الدول التى جاءت قبل الفتح الاسلامى غاصبة) والحال أن معنى الدولة عند العرب المسلمين لم يكن يعنى البتة الا العائلة الحاكمة او المالكة والكلمة آتية من الاكادية دالو وهى التيه بدون غرض ومن السريانية دال أى تحرك . ولم تظهر كلمة الدولة الا مع بنى العباس فى معنى الدور فى الانتصار ثم أصبحت ابتداء من القرن الثالث تسند الى الوزراء كولى الدولة وعميد الدولة وغيره وهى اذن تفيد التداول والتعاقب بينما بالفرنسية تفيد كلمة : ETAT الآتية من اللاطينية : STATUS الاستقرار والصمود .

وليس هذا الا زيادة فى الدليل على أن الدولة فى بلادنا لا ترمز الى التمثيل الحقيقى للسكان بل اننا نجد فى هذه الدول التى ذكرتها ما يمكن أن ينعت

بصفات أخرى غير الوطنية فهي تارة دول غاصبة وطورا دولا متحالفة وأخرى قائمة على العصبية .

فالدول الغاصبة هي مثل دول الرومان والبيزنطيين والوندال اذ هم أقوام جاءوا بعدد كبير واستقروا في البلاد وسخروا الارض والعباد من اجل ابتزاز الخيرات ، ومن درس الفترة الرومانية في بلادنا يعرف ما هو الاستغلال والاستعمار الذى هو شبيه باستعمار الفرنسيين لان هؤلاء حاولوا تطبيق ما كان يقوم به الرومان في ذلك الوقت .

ودولة الوندال هي ايضا دولة غاصبة لانها استغلت الحكم لها وحدها، ولم تقم بأى تعمير يذكر خلافا للرومان بل انها عرفت بالتخريب والتدمير وقس على ذلك حكم الاسبان الذين بقوا اكثر من خمسين سنة بتحريض من الحسن الحفصي وخيانة منه من اجل الابقاء على عرشه .

أما الدولة الوحيدة التى يمكن ان نسميها متحالفة فهى دولة قرطاج . لانها لا يمكن أن تكون مستعمرة (بكسر الميم) اذ هى لم يعرف عنها أنها كانت تابعة لامبراطورية ما بل هى انصهرت مع سكان البلاد ولم تكون امبراطورية بالمعنى المعروف بل كانت هناك مدن مستقلة على السواحل تتعامل مع الاهالى وتضفى عليها من حضارتها حتى أن الاسماء الموجودة على كثير من القبور هى بربرية ولو أنها مكتوبة بالبونيقية . لهذا فلا يمكن أن تعد دولة قرطاج استعمارية بل هى التى بذرت بذرة الحضارة بتكوينها في ربوعنا أول دولة بأتم معنى الكلمة ، بنظام مؤسساتها المعقد والخاضع لقوانين مضبوطة حتى أخرجت رجالا عظاما فى السياسة وفى الحرب والفلاحة وغيرها من الميادين الاخرى وأشعت على كامل افريقيا الشمالية ناهيك أن ماسينيسا كان يقلد القرطاجيين في حياته واتخذ اللغة البونيقية لغة رسمية . ولو أتيح لدولة قرطاج الاستمرار لامكن لها أن تزرع بذرة الدولة الوطنية التى ينصهر فيها جميع المتساكنين . ولكنها مثل غيرها من الدول ضربت أفرادها الانانية وحب الذات وطغت على القادرين فيها الرغبة فى الكسب والازورار عما ينقذ الوطن ويفيده وتقلصت الروح الوطنية . حتى أن حنبعل عندما وجد خزائن الدولة فارغة وأصدر قانونا جبائيا يفرض على الاثرياء تمويلها كادوا يسلمونه الى رومة . ولكن هذه الادواء ما لبثت ان عجلت بانقراض هذه الدولة التى كان يمكن لها أن تعد بحق الدولة الوحيدة التى عرفت فى تلك الحقبة السحيقة كيف تصهر البربر فى بوتقتها .

وهناك الدول التى تكونت بالاعتماد على العصبية سواء كانت بالنسب أو بالولاء فالعصبية بالنسب هى التى ترتكز على الاشتراك فى الدم والعصبية بالولاء هى التى ترتكز على الحماية مثل اعتماد الدولة الاغلبية على الدولة العباسية أو الدولة الصنهاجية على قبيلة صنهاجة وهكذا فان الدولة لا يمكن ان تقوم الا على عصبية ما وهذا ما أثبته ابن خلدون .

أما صفة الوطنية فى التحاقها بكلمة الدولة فهى راجعة الى لفظة وطن ولها دلالات عديدة.فالوطن فى الاشعار الشعبية وفى النصوص الادبية والتاريخية هو عبارة عن الرقعة التى تعيش فيها قبيلة ما من ذلك مثلا الوطن القبلى ، ثم اتسع مدلول هذه الكلمة وأصبح يدل على القطر وأصبح « لا يشعر فيه المواطن بأنه فى وطن الا من خلال المدينة أو القرية او الحومة التى يعيش فيها » وزيادة على ذلك فان « الوطن لا يفهم على أنه أرض وسماء أو مجموعة من مواطنين تجتذب كلا منهم قيم وعقيدة وانما يعتبر الوطن وحده بأرضها وسمائها وبحارها ومواطنيها الموحدين عقيديا العاملين فى اتجاه واحد فى ظل عقيدة واحدة » « فمن شروط الوطنية الاسلامية » .

وهكذا فان مفهوم الوطنية هو امتداد لهذه القيم المتداخلة الغزيرة التى كان يصدع بها المصلحون فى أوائل هذا القرن وهذه القيم هى مستمدة من مفهوم الامة عند المسلمين .

وليس من الغريب أن يقول أحد الدارسين : « ان فضل الحركات التحريرية هو انها كانت سببا فى بعث الوعى الوطنى فى صورته العصرية . ويظهر أن البلاد التونسية ومصر هما الوحيدتان من بين البلدان العربية التى لهما شخصيات وطنية بينة المعالم » .

ولكن ما هى الوطنية فى معناها العصرى ؟ وهى بالذات التى يطلق عليها كلمة القومية . هى كما حددها بعض علماء الاجتماع بالصورة التالية : « ان جوهر الوطنية هو الاعتقاد بأن مصالح صنف اجتماعى ما أى الوطن ، أهم من مصالح أى فرد وان الحكومة هى العنصر الاساسى للتعبير عن هذه المصالح» ويردف قائلا : « ان المشكل هو أن الوطنية هى ديمقراطية أساسا وان ارادة الشعب ليست محافظة بالضرورة ولان اخص خصائص الوطنى الحق هو ان يكون مستعدا للتضحية بكل شىء بما فى ذلك القيم التقليدية فى سبيل عزة الوطن ووحدته » .

ويتجلى من هذا أن الوطنية الحق هى التى تعتبر مصالح المجموعة أهـم من مصالح الفرد أى المصالح التى لا يشترك فيها غيره وان الممثل لهذه المصالح المشتركة هو الحكومة . وهكذا فانه بالنسبة الينـا كتونسيين فـان مصالح المجموعة اتسعت من الفهم الضيق للقرية او المدينة او الحى او محط رجـال العرش أو القبيلة الى الرقعة الجغرافية التى تسمى البلاد التونسية او تونس وان هذه الحكومة التى تمثل مصالح المجموعة كانت قبل الاستقلال الحزب الجديد ثم الحكومة الوطنية التى انبثقت عنه بعد الاستقلال .

وبهذا تكون الحركة الوطنية أضفت فى الواقع مفهوما عصريا للوطنية خاصة اذا اعتبرنا أن الوطن هو : « هذه المجموعة التى تكون واعيـة بالخصائص التى تميزها مهما كانت الاسباب والتى لا ترضى بحكم الاجانب وتطالب بدولة ذات سيادة خاصة بها » .

وهذا بالضبط ما لم يكن موجودا قبل الاستقلال اذ كان التونسيون يرضون فى آخر الامر بحكم الاجانب من ترك وغيرهم وان على مضض اذ كان فى تونس كما قال الاستاذ عبد الوهاب بوحديبة : « وطنية بدون وطن (بمعنى الامة) لان هذه لم تبرز قوية الا مع بعث الحزب الجديد سنة 1934 على يد « بورقيبة » ولعل الاجدر أن نقول : كان هناك حب للوطن فقط ، لان الوطنية تقتضى وجود الامة ما فى ذلك شـك .

لذا فان شعور التونسى اليوم مثله كمثل المصرى والجزائرى والمغربى قد ارتقى الى المرتبة التى تجعل منه يعى أنه ينتمى بوطنه الصغير الى أمة بأتم معنى الكلمة فهو يذود عنها ويضحى من أجلها بكل شىء مثلما تم أثناء الحركة التحريرية فتحولت تلك الوطنية التى تقتصر على الحى والعرش والمدينة والقبيلة لتتسع الى الامة التونسية بأجمعها الى وطنيـة بالمفهوم العصـرى تضم البلاد التونسية مع تقلص الشعور الثانى الذى لم يبق من يمثله اذ كانت الخلافة هى الممثلة له ولكنه ظهر فى مظاهر أخرى لا أظنها تتضارب مع الشعور الاول ولا تنفيها .

والدليل على ذلك هو أن هذه الوطنية التى أصبحت لها محتوى مرتبط بالامة التونسية قد مالت شيئا ما الى التضحية ببعض القيم التقليدية التى هى فى الواقع ليست من مقومات الشخصية التونسية العربية الاسلامية بل هى دخلت على القيم الاسلامية وحجرتها مثل الفروق الموجودة بين موقف الاسلام من المرأة وبعد ذلك موقف بعض المسلمين منها والمجتمع الاسلامى بصورة

عامة وكذلك الفرق بين النظرة الاقتصادية فى تطورها فى أول الامر وحركيتها وجمودها وانحطاطها فيما بعد .

غير أن الوطنية بالمفهوم العصرى كما ظهر مع الحركات التحريرية وتبلور تبلورا كانت لها بذور قديمة حتى أنه يمكن القول : ان الاسلام ساعد الوطنيات على البروز وأبقى على الامم ولم يمسخها رغم شعورها بالانتماء الى الامة الواحدة أى الامة الاسلامية وتطور هذا الى مفاهيم أخرى هى القومية تارة والوحدة أخرى وغيرها . فيمكن القول . ان هناك ثنائية قديمة لم تبرح الشعوب العربية وهى الآن فى سبيل التطور الى نوع من الاخوة لا يتنافى مع الوطنية .

ومن يستقرىء التاريخ يجد أن بذرة الوطنية موجودة من القديم وأن الذى فهم المغرب العربى فهما حقيقيا وتصور سير التاريخ على الاساس الصحيح هو ابن خلدون الذى عاش مع القبائل البربرية والعربية وعرفها ورأى رأى العين قيام الدول وانهيارها ولا بأس أن يتوقف القارىء لتاريخ ابن خلدون أمام أسطر قليلة يصف فيها هذا العالم الواعى تحرك التاريخ بالنسبة لهذه الدول أى أنه يصف فى واقع الامر الغاية التى كان يصبو اليها أهالى هذه البلاد من أول التاريخ يقول عندما يتحدث عن الخوارج فى المغرب وغيرهم : « وركدت ريح الخوارج من البربر فى افريقية وتداعت بدعتهم الى الاضمحلال وأخمدت شوكة البربر واستكانوا للغلب وأطاعوا الدين . فضرب الاسلام بجرانه وألقت الدولة العربية على البربر بكلكلها وتقلد الاغلب التميمى أمر افريقية والمغرب من قبل الرشيد فاضطلع بأمر هذه الولاية وكانت لهم بافريقية والمغرب الدولة التى ذكرناها من قبل يعنى الاغالبة الى أن انقرض امر العرب بافريقية على يد زيادة الله عاقبتهم الفار الىالمشرق امام كتامة سنة 296. وخرجت كتامة على بنى الاغلب بدعوة – العبيديين – ثم يزيد فيقول : « واستقل كتامة الامر من يومئذ ثم بعدهم من برابرة المغرب وذهب ريح العرب ودولتهم من المغرب وافريقية فلم يكن لهم بعد دولة الى هذا العهد ، أى عهد الحفصيين وصار الملك للبربر وقبائلهم يتداولونه طائفة بعد أخرى وجيلا بعد آخر تارة يدعون الى الامويين الخلفاء وأخرى الى الهاشميين من بنى العباس وبنى الحسن ثم استقلوا بالدعوة لانفسهم آخر الامر » . وهذا لم يكن فى ذهن ابن خلدون ليتنافى مع انتساب هذه الدول الى الحضيرة الاسلامية وانما هو شعور بنوع من الوطنية سيحتد ويبرز شيئا فشيئا ويتبلور فيما بعد حول هذه الكلمة التى نطق بها ابن خلدون وهى الاستقلال . ولهذا فان الدول التى تكونت فى المغرب العربى انما تكونت بروح وطنية ولكنها ليست الوطنية التى نفهمها اليوم وحددتها سابقا .

ولهذا فان الدولة الوطنية بأتم معنى الكلمة لم تتكون الا فى عصرنا ولكن بذورها كانت موجودة من قديم وتشكلت فى صور عديدة ولكنها كانت توقا وأملا لم يتحقق الا بعد المحن العديدة .

فعندما نقول : ان الدولة الوطنية لم تتكون فهو صحيح لان الدول ـ غير الغاصبة ـ التى قامت انشئت على العصبية وهذا لا يمنع من أن نعتز بها لانها صنعت الحضارة بأيدى أبناء هذه البلاد واقامت المدن والاساطيل وأشاعت الحضارة بأيديهم ولكنها أقيمت هذه كلها على العصبية ولهذا كانت دولا بأتم معنى الكلمة أى تتغير وتتبذل وتدل على العائلة الحاكمة او المالكة أكثر مما تدل على الدول لان « الدولة العصرية نظم قبل أن تكون أفرادا والدولة المتخلفة أفراد قبل ان تكون نظما . وفى الدولة المتخلفة تقف التبعة عند حدود الاسرة وفى الدولة المتقدمة تتجاوز التبعة هذه الحدود لتتمثل الامة بأكملها وفخر المواطن فى الدولة العصرية ان يطيع القانون لانه هو واضعه وفخر المواطن فى الدولة المتخلفة أن يعصى القانون ، اذا سلم من العقاب ، لان القانون موضوع له من سلطة خارجية » . ولهذا فان الدولة الوطنية العصرية على أرض تونس هى تلك التى انبثقت من الصراع الطويل الذى ذكرته وأشار اليه ابن خلدون ولكنها تلك التى انبعثت من عزيمة كل التونسيين أثناء الكفاح التحريرى لا فرق بين أهل الارياف والمدن والقرى والمداشر والعروش والقبائل .

وبعد هذا ما هى الاسباب التى حالت دون تكوين هذه الدولة الوطنية ؟ لعل ذلك يرجع الى أن فكرة الوطنية كما قلت آنفا هى فكرة جديدة لان الظروف لم تسمح بظهورها ولعل اختلاط المفاهيم والثنائية المتغلغلة فى النفوس كانت سببا فى ذلك . ولكن رغم هذا فان دولا لها بصيص من الوطنية تكونت على هذه الارض مثل الدولة القرطاجية والصنهاجية والحفصية والحسينية ولم تسعفها الظروف لتتكون وطنية بأتم معنى الكلمة . ولعل هذا يرجع الى خطورة الموقع الجغرافى .

وخطورة الموقع الجغرافى آتية من أن سكان هذه البلاد ـ بما فى ذلك بلدان المغرب ـ لم يتمكنوا الاحقاب تلو الاحقاب من تكوين حضارة خاصة بهم لانه كلما قامت دولة شبه وطنية داهمتها أقوام من الخارج يحملون معهم لغتهم ودينهم وتقاليدهم وهذا العدوان من شأنه أن يعطل سير الحضارة الاصيلة مهما كانت درجتها . وهذا بالضبط ما وقع مثلا لتونس فى العصر الحديث عندما بدأت نهضتها على يد خير الدين ولكن الاحتلال الفرنسى والنظام

الاستعماري أوقفا هذه الانطلاقة ووجهاها وجهة أخرى. فتغيير الوجهة الحضارية كما ذكرته سابقا كان سببا في منع سكان البلاد من أن يكونوا لانفسهم لغة مكتوبة وحضارة تجمع بينهم . وتزيل الفوارق مثلما هو الشأن في الجزيرة العربية أو مصر أو فارس لامتناع هذه البلدان عن أن تكون فريسة سهلة للغاصبين . ولكن سكان البلاد وجدوا في آخر الامر في الاسلام والحضارة العربية الاسلامية ما مكنهم من أن يحاولوا انشاء دول وطنية .

ولكن رغم هذا فان هذه المحاولات باءت بالفشل لاسباب عديدة أهمها :

ـ أن ماهية الدولة ليست بالمعنى الكامل الذى يجعلها تراعي جميع المصالح بل هي قائمة على العصبية أي على جزء من السكان بحيث أن دور الدولة يتقلص وينحصر في أقلية سرعان ما تستأثر بكل شيء فتنقلب الدولة في وظيفتها الى سيد له جميع الحقوق على غيره من دون أن يقوم بواجباته اللهم الا ما يوطد أركان حكمه .

ـ أن الثنائية التي ذكرتها وانعدام الحدود بين الوطنية والانتماء وعدم وضوح معنى الامة في الاذهان في تأرجحه بين الدين والوطن كل هذا كان سببا في عدم ظهور الدولة الوطنية وانهيار الدول التي أنشئت في أولها على نوع من الوطنية (الاستقلال بالدعوة الى النفس كما ذكره ابن خلدون) . وهذه الثنائية نجدها حتى في العصر الحديث عند فيلسوف كاقبال عندما يقول: « لا ريب أن الوطنية لها مكانها وأثرها في حياة الانسان الاخلاقية ولكن العبرة في الحقيقة بايمان الانسان وثقافته وسننه التاريخية هذه في رأيي الامور التي تستحق أن يعيش لها الانسان ويموت من أجلها لا بقعة الارض التي اتصلت بها روح الانسان اتفاقا » . وهو على حق لا محالة في الجزء الاول من نظريته ولكنه غير محق في الجزء الثاني وهو بهذا يواصل نفس الغموض الذى عرفته الدول الاسلامية في الماضي . ولعل الكوارث ألمت بباكستان متأتية في معظمها من هذا التفكير الذى يقر ايجاد دولة باكستان ويتحمس لها ثم يضعفها بمثل هذا الجزم . وهو يؤول بالضبط الى عدم وجود أمة قادرة على الدفاع عن كيان الدولة فيقع التفاوت بين هذه وتلك فاما ان تكون الامة اكبر من الدولة او ان تكون اصغر منها (وجود العصبية) .

ـ توسع الدول المجاورة والكيد للدولة المعنية مما يطيح بالدولتين والامثلة عديدة منها ما سعى اليه مسينيسا من القضاء على قرطاج للتوسع ولكن الواقع أثبت أن رومة أطاحت بالدولتين وجعلت افريقيا الشمالية تحت نير استعمارها قرونا وقرونا .

ـ ان الثالوث الذى كان يكون سكان البلاد لم يكن فى وقت من الاوقات متفاعلا وهو الحضر والبدو الرحل والفلاحون (ما يسميه ابن خلدون بسكان الضواحى : (L'arrière-pays) وهو الذى أنشأ التناحر بين هذه الفئات واستفحلت من أجله أنواع القبلية والعروشية والعنصرية .

ـ أن ما ينشأ عن الطبقة الحاكمة من ظلم وجور وأنانية وتكالب على الكسب وتقلص للروح الوطنية كان سببا لا فى تدعيم أسس نوع من الدولة الوطنية بل فى انهيارها . ولنذكر هنا دولة قرطاج التى ظهرت هذه العيوب فى طبقتها الحاكمة حتى أن حنبعل عندما وجد خزائن الدولة فارغة سن قانونا جبائيا لجمع الاموال ومحاولة مقاومة رومة ولكن هذه الطبقة الحاكمة بأمرها تآمرت عليه وقررت تسليمه الى عدوته رومة.وكانت النهاية أن سقط السقف على الجميع. زد على ذلك أن هذا المجتمع كان يتصف بعدوان البعض على البعض الآخر وتكاثر الحسد والحقد بين الافراد علاوة على تفشى الجهل والفقر والمرض فى فئات عديدة مما يعطل تواصل الحضارة (ما يعبر عنه ابن خلدون بانقطاع السند) وهو يتمثل فى تنكر الاجيال بعضها لبعض وعدم الاعتراف بالقيم وينشأ عن ذلك تقلص العمران اذ « الدولة والعمران كما يقول ابن خلدون أمران متلازمان » وتنهار الدولة او تسير على نحو لا يتماشى مع روح الدولة الوطنية .

هذه هى العوامل التى حالت دون قيام الدولة الوطنية فى بلادنا وقد أمكن فى فترة الكفاح الوطنى ازالة العراقيل لنشوء الدولة الوطنية بأتم معنى الكلمة وتحققت فى عهد الاستقلال كل الاسباب التى تجعل أسس هذه الدولة مكينة وما على الاجيال الحاضرة واللاحقة الا أن تأخذ بعين الاعتبار السلبيات التى ذكرناها حتى تتجنب الكوارث التى لحقت بالبلاد فى العصور الماضية وتكون فى مستوى المسؤولية التى قلدها اياها ومكنها منها الشهداء الذين سقطوا من أجل أن تحيا تونس أمة قادرة على الدفاع عن كيان دولتها ٪

البشير بن سلامة

في سفح الغد المحتضر

شعر : حياة بن الشيخ

ـيا وهم أيامي وأحلام الغد ... هل للفؤاد مع الصّفا من موعدِ
أمل الهوى ولّى وكلّت أدمعي ... لا الحبّ عاد ولا الزمان بمسعدي
فلكم بكى منك الفؤاد سعادتي ... أين اللّقاء ، إليك كيف سأهتدي؟
هل أنت وهمٌ أم سرابٌ شيّدتْ ... بسماته لهفاتُ صبٍّ مجهدِ ؟
أم أنت مثلي فكرة حيرى بلا ... إسمي على درب الدّنى لم توجدي؟
قد قلت في أيك المحبّة : التقي ... نصفا وجودي وابتسامة فرقد
فسرحت في روض الزمان فراشة ... سكرى تحلّق في سماء **غدي الندى**
كانت ليالي َ ..واختلست سرورها ... من قبضة القدر العنيد المعتدي
وصحتْ عيون الله بعد سباتها ... فرمت بسهم البؤس بسمة معبدي
أوّاه من وهمي ، ولوعة لهفتي ... ومن الهوى المضنيْ وذلّ تودّدي
يا حبّ عدْ ، أو لا تعدْ ما حيلتي ... إن ضاع عمري في أسى وتمرّد
لمّا ظننت الكون صار بقبضتي ... والخلّ من ويلات يأسي منجدي
لاقيت نفسي في الوجود وليس لي ... الاّ شظايا من حياتي في يدي
فإذا سألت الدّهر قال بقسوة ... ما كان عندي غيرُ حزن سرمدي
وبحرقتي مازلت أرقب همسة ... أو صدفة تدنيك بعد تردّد
ولهيب دمع يسأل الظلمات عنْ ... أوهام أيّامي وأحلام الغد

الأرخبيل

الفصل الثالث (*)

رواية : يوسف رزوقه

تعجج الدخان فى فضاء القرية الخراب وتلوث فى العصافير النشيد الزجاجي العذب واختلط الصمت بالدهشة وظل كل ما هو ضبابى غارقا فى الضباب .

اختلف القوم ، كافة القوم تقريبا الى حيث الحدث . واختلفوا جميعا فى تحديد هوية الفاعل الاصل .

ـ قال حمد العيثى : بوزيان له قلب أسود كالزفت ولا يستأهل الرحمة أصلا .

فى العام الفارط ، غز شياهى بدعوى أنى تعمدت تسريحها فى غرسه . وأنا أحلف برأسى الذى يعز على أنى ما شققت له أرضا بساق على الاطلاق .

ـ وقال شعيب السعفى : بوزيان صوردى مثقوب . لم يكن فى يوم من الايام ، طلق الوجه أو اليدين ، دائما ، الكشة والغشة . لعمرى ، رأيت رجلا يضاهيه شحا ، والا ، كيف يظل يرقد كالكلب ، تماما كالكلب تحت العشة وله زيت مخزون لو سيبه لصار بحرا .

ـوقال عيفة البرادعى : بوزيان يعتقد اعتقادا راسخا أن سويلمى هو الذى أضرم النار فى أكوام التبن المتلاصقة كحلزون بومصة .

ـ أما الزبيبى بوشيحة ، فيؤكد أن شمار ، ذلك الولى الصالح ، غضب غضبا شديداً على بوزيان . وهو يذكر يوما ، جدف فيه بوزيان بشمار ، واعتبر المتعلقين بتلابيبه قوما سذجا ، ضحايا مخلفات الاستعمار القديم .

ـ الحشد يتطلع الى النار وهى تطفأ شيئا فشيئا ، تراءى سويلمى يتمشى الهوينا حتى انتهى الينا .

انهالت على وجهه النظرات ، تحاول أن تستخلص منه اعترافا بما وقع . ولكنه ، كان مغلقا مثل الصخر تماما .

(*) راجع الفكر : ع 4 و 5 ـ س 25 ـ (1 و 1980/2)

وكان هو أيضا يتطلع الى الحريق بدهشة ، وكـان بيـن الحين والحين ، يتفرس فى وجوهنا ، فنشيح بها عنه .

ويبقى غريبا ، مشكوكا فيه .

بوزيان يرغى ويهتز . بوزيان جلف ، ضخم الجثة ، بدائى القسمات ويلبس كدرونا تكدس عليه مقدار كرسوعين من الوسخ .

حين وقعت عيناه على سويلمى ، توجه اليه رأسا ، وبدأ بالصراخ وتركيز التهمة عليه .

طأطأ سويلمى رأسه . غرس عينيه فى بوزيان ردحا من الزمن ، ثم انقلب عائدا بخطى متمهلة تشاركه التفكير ، وبابتسامة شاهقة على شفتيه ، تفصح عن التقزز والاشمئزاز .

فى عشية ذلك اليوم الغائم ، عادنى سويلمى ، فوجدنى فى هـذا المكـان بالذات . أئن أنينا خافتا ، وأحاول أن أنهض فيشدنى شعـور بالتخـاذل والصداع الى الفراش .

عيناه حزن وتفكير وأسف .

قال وهو يكب القفة ، فيمتلىء حجرى برتقالا :

ـ أتيت فى الحقيقة ، لاطمئن عليك . وأتيت أيضا لاقول لك شيئا هاما تبلغه بالنيابة عنى الى شخص ـ يبدو ـ أنه لا يعرف طبعى .

جلس جلوسا لكأنه جلوسك الآن . شابك ما بين يديه والتفت الى :

ـ أنت تعلم علم اليقين ، أنى لا أظلم أحدا ولا أتظلم حتى ولو كنت المظلوم

ولهذا ، ناشدتك الله أن تبلغ بوزيان موقفى هذا . وتطلب منه أن يتبرأ منى ويكف عن الاساءة لى ، وألا يذكرنى ـ مستقبلا ـ بسوء أو بخير .

★ ★

تثاءب جدى وأعاد التثاؤب مرارا ، فأشفقت على شيخوخته وطلبت منه أن يسند ظهره الى الحائط عله يستريح .

سمعت أبى ينادينى فى الخارج . انه يريدنى بالتأكيد، لغاية فى نفسه طبعا .

سأنحنى وألملم التبن مع ابن عمى .

★ ★

انتهت مهمتى . أنا الآن فى حل من كل شغل . سأنام . سأنام هذه الليلة ، ملء العينين ، لانى استشعر تعبا لكأنه الخدر فى بدنى .

تمرغت فى فراشى بطنا وظهرا ولكن النوم جافانى . قلق كأنــه الاختنــاق يغلق انشراحى ويفتح سهادى .

تصورت امرأة متوثبة الحسن ، فى حالة شبق جنسى جارف تلتصق بى ، وتزرعنى ألغاما وحرائق لذيذة ، وأنغاما وحدائق بكرا .

وتفطنت الى أنى نسيت بيتا كان يؤوينى فى ليالى الشتاء والحرمان ، حتى مطلع الصباح وانطفاء الظمأ .

ركبت رأسى المتوهج كبتا وتسللت الى البيت المنسى فى قلب الغابة .

كانت القاسمية الى ذلك الحين ، منتصف الليل تقريبا ، تعــد الشــاى ، وتملس الكوانين الطينية .

كانت زنجية كأنها العنب الرازقى ، تكاد من فرط السواد تضىء .

كانت جميلة فى نظرى بشفتيها الغليظتين ، وابتسامتها الناصعة البياض ، وجسدها المصقول صقلا فنيا يحار قدامه الفنان .

هى أرملة مات زوجها وهو يعالج برميلا مملوءا ماء ، كان العمدة قد كلفه بملئه من احدى الآبار البعيدة ثم حين حاول تهبيطه من عــلى العربــة ، أحس ألما كبيرا فى شبكة صدره العظمية .

وكان أن تقيأ الدم فى المساء . حدقت من خلال كوة فى جــدار رأيتهــا على الدكة ، تعجن الصلصال وبواخ الشاى يصاعد ، وهى تغنى :

لالا يا نــوار اللوز   كسر كعبه تلقى زوز

رمقتنى ، اندهشت ، غسلت يديها ومسحتهما فى منديل قديم وقــامــت تفتح الباب .

* قالت : أين كنت يا عبد الحميد طوال هذه المدة ؟

ـ قلت : أنا موجود فى القرية ، ولكنى ، كنت مضطربا ، وبعضى لا يجانس بعضى . المهم ، أنك ما زلت فى ذاكرتى وها أنى أتيــت ، فــهــل اتفــضــل بالدخول ؟

* قالت : تتفضل بالدخول ؟ منذ متى أصبحت تتعامل معى بهذا الشكل ؟ أدخل ، هيا أدخل ، ودعنى من هذا التكلف الزائد .

القاسمية هى هى . لم يطرأ على ملامحها أى طارىء ، ولم يأت الزمن على تماسك عضلاتها البضة ، الغضة ، أو وداعة وجهها النابض بالوهج .

وأنا أحل عروة الشملة فى محاولة تجريد القاسمية من دخيلتها الكمونية ، أهوت بأناملها على خدى بكل هوادة وهى تعاتبنى عتابا خفيفا :

ـ كل بنات المدينة لم يفلحن فى تحريرك من ايرك . أعرف أنك بدوى لا ترتوى حتى ولو ضاجعتك كل نساء العالم .

لم أحفل بتعليقها اطلاقا .

كانت سلطانة فى ذلك الوقت ، وكانت الصراخ ـ الصهيل ـ العواء فى ذلك الصمت وكنت أنا ضالا ، أتسع لهبا متأججا وأبحث عن مضيق كله رفاهية ، أقضى فيه أوطارى ، فتطفأ نارى .

وبكل عنف وحرارة ، أخذت أبوسها فى مواطن جسدها الحساسة وهى تتمنع وتتلوى كالحنش المصهود بقيظ الرمل الصحراوى .

فى أوج اللذة ، صعقتنى بسؤال أمات فى احساسى ذلك الحريق المستيقظ

ـ قالت : أنت وحش شهوانى ، موحش . لم لا تكون ولو مرة ، مثل سويلمى ؟ .

ـ نعم ، سويلمى ، أراك مولعا بالتفاصيل ؟

تهشم فى عينى الزجاج ووجدتنى حريصا شديد الحرص على الاصغاء الى القاسمية .

قالت وأنا على يسارها ممدد وهى تتردد :

ـ سويلمى ، سويلمى رجل عظيم . زارنى ذات المرار وذات المرار ، وفى كل مرة ، كان يحمل معه الشاى والسكر والكاكاوية ، فنسهر معا حتى ساعة متأخرة من الليل .

كنت فى البدء أظن أنه سيكون مثلك تماما ، يأتى ليقضى وقتا دافئا معى . ولكنى اكتشفت العكس .

صبت الشاى فى الكأس ، وسألتنى التذوق ، فأفدتها بأنه : عال .

سألتها المواصلة ، فحدجتنى بخزرة جانبية وهمهمت :

ـ دائما تستعجل الامور .

ان سويلمى والحق يقال لا يماثله أحد فى هذه القرية . حاولت مرتين أن أراوده على نفسه ، وفى كل مرة ، كان يضحك ضحكا استراتيجيا وينجو منى بذكاء ودهاء .

شككت فى مقدرته الجنسية ، لكنى ، تبين لى أنه سليم من أية عاهة .

وأذكر ذات ليلة ، أتى يجر خطاه ، فى عينيه قلق وصمت واعتراف بالتعب كان طويلا مثل عرصة الباب هذه . جلس على الدكة ، منكس الرأس .

ـ قلت : هل حدث حادث يا سويلمى ؟

قال : سحقا للانسان . انه التفاهة عينها ،

ـ قلت : ما الحكاية بالضبط ؟

* قال : أنا انتهيت . لم يعد لى مكان فى هذا العالم

ـ قلت : ولكن ، ما كل هذا اليأس ؟

* قال : اسمعى ، هل صادف فى زياراتى أن اعتديت عليــك ، أو اغتنمتك غنيمة سهلة ؟

من أول لقاء على ما أظن ، حددت معك نوعية علاقتى . لانى ، كنــت آخــذ الانسان على أنه ، فى كل الحالات ، انسان . لا مجرد وحش يتمرغ فى العفن .

انى أضحك ملء الفكين عندما أتصور انسانا ، بجسده الضخم ، ورأسه المستطيل وعينيه المفتوحتين وشكله الانيق ينغمس حتى الغياب ، فــى لــذة عابرة ، وعلى نحو مخجل جدا . وتصبح تلك الشخصية القائمة الذات فــى المجتمع ، جثة عارية تمتص الرحيق الضرورى من بالوعة القذارة . انه القرف والغثيان . وانه المسخ التام لانسانية الانسان .

انى أرفض أن يكون الانسان : جشعا كالحيوان ، قبيحا كالحيوان ، أعمى الغرائز كالحيوان .

الانسان مثقف الغرائز أو لا يكون .

طوال سنوات عديدة ، علمتنى تجاريبى مع المرأة أن الجنس يميت فى الرأس كل نوازع الارتفاع ، ويغلق كل نوافذ التطلع الى بعيد .

لكني ـ للاسف ـ لا حظت أن الجنس في قريتي ما زال مغنطيسا خطيرا . كل شخص بلغ العشرين من العمر ، يسارع بالزواج ، لينعم بالدفء والضرورة الساخنة ، ويموت ، يموت فعلا .

في حين ان الجنس في بعض الامصار حاجة ثانوية تمارس في وقت الفراغ فالجنس هناك ليس حاجة أكيدة تأخذ من طالبها الوقت الكثير والتفكير الطويل

فالمهم في تلك الامصار ، البناء سواء في الاقتصاد أو السياسة أو الفكر ..

ولن يكون البناء ، الا اذا تخلص الانسان من عبودية الانشـداد الى النصف الاسفل من جسد المرأة المحنطة عبر العصور .

الى هذا الحد ، توقف سويلمي وبدأ كأنه يصارع أفكارا شرسة أو ذكريات سيئة .

ـ قلت : أهذا كل ما في الامر ؟

ـ قال : أنا شقي ، ويخيل الى أني لن أعمر طويلا .

في الواقع ، أنا لست مثاليا . ومـا دام لكـل شيء اخـلاق ، فـان بعض هذه الاخلاق لا تعجبني على الاطلاق وسر كآبتي أني أحببت في هذه القرية فتاة .

كنت أحسب أنها ستساهم معي في كل ضرب من ضروب البناء ، سواء كان عاطفيا أو اخلاقيا أو اجتماعيا . وحملتها في البدء ، على أن تتحرر مـن جزئيات غير هامة . وأردتها تضحك ضحكا مثقفا ، وتنظر الى المجتمع والطقوس الهشة نظرة التحليل العميق ، وتتعرى أمامي التعري التام حتى نتفادى معا ما لا تحمد عقباه .

لكن ، أغلقتني بسطحية أحلامها القديمة ، وخلفتني كما ترين : غريبـا ، غريقا يفتش عن قشة للنجاة ، في هذه المستنقعات .

تمركزت في رأسي نقطة استفهام كبيرة ، وكانت القاسمية قبيحة بعد الذي سمعت ، تبعث على الاشمئزاز

* قلت : ومن تكون هذه الفتاة ؟

ـ قالت : رية .

زعقت والذكريات الجميلة تتحول الى رماد :

* كيف ؟

غمرتني بنظرات كأنها الارتباك المفاجيء . توجهت نحـو الباب للخـروج ، واشتملت القاسمية بالغطاء .

وكان القمر ، فوق القرية ، قبيحا كالوباء .

★ ★

والشمس تعشوشب احمرارا فاحشا ، طالعنى خالى مسعود ، صفر اليدين، الا من ارنب بو صويفة هزيل .

كامل الليل لم أنم . فالطريق التى كنت أحسبها طريقى كانت طريق سواى

هل ألغ الآن من وعاء سبقنى اليه سويلمى ؟ .

ان سويلمى بشر معتدل ولا أتوقع منه أذى .

انى اكاد أنفجر ، انى أكاد ...

والقرية امامى رماد ، وكل الزقزقات مهشمة ، أوصدت الشبابيك فى وجه ربيع كان من المؤكد أن يجىء . احتشد على دمى ذباب‌التسى ـ تسى حتى ارتخى كل غصن جرثومى حى فى دمى ، فنمت الى أن أيقظتنى أمى فى المساء .

رية ،، وأنا أحبك حتى احمرار الحديد فى يد الحداد . وأنا وقفت جميع أحلامى عليك . وأخشى ان سألتك اليوم التعرى ، أن تسقطى من عينى السقوط الاخير . لانك قد تهربين من أسئلتى الى حيث الضباب ، والنفاق الجميل .

استبد بى الهذيان وتملكنى احساس يقول بكل أنواع الكفر والالم .

★ ★

قالت وقد جاءت قبل الموعد المحدد بربع ساعة تقريبا :

ـ أراك يا عبد الحميد ،منقبضا ، عكر المزاج . ويخيل الى أنك تلتقى مع سويلمى فى شبه كبير .

لفنى الضباب من كل جهة وأهويت على خدها بكف ملأت الفضاء غـرانيق سودا أخذت لتوها فى الانتشار والنعيق .

انزلعت التقريطة من على شعرها المخضب بالحناء .

انفرجت الشفتان ارتعاشا وأخذت تفقفق بكاء ، لاول مرة ، أرى رية تبكى أمامى ، بعينين ضاقت فى اتساعهما السماء .

التزمت الصمت . وانهمرت الثوابت داخلى عويلا عنيفا وبكاء باردا .

قلت والشمس تبتعد ، والشفق المحمر يزراق شيئا فشيئا :

* أنا بكل تأكيد حريص عليك . وقد تناهى الى علمى أنك التقيت سويلمى فى كم لقاء . وكان من المحبذ على الاقل أن تحيطينى علما .

كزت بأسنانها العليا على شفتها السفلى ، وعاودها الشهيق والبكاء ، فاحتضنتها بين ذراعى ، وأنا العن اللحظة التى جمعتنى بالقاسمية والتى غرست فى رأسى مشتلا من الاحتمالات الكثيرة ..

هدأت رية قليلا . رفعت وجها رسمت عليه الدموع مسارب عمودية لكأنها ذلك المخاط الحلزونى الجاف .

ـ قالت : التقيت سويلمى حقا وكان لقاؤنا محض صدفة ، طوال وقوفنا ، لم يرفع عينيه الى وجهى ، كان خجولا ، يتكلم وعيناه مركزتان على قدميه .

* قال فى أول لقاء : أوصيك يا رية بالتحدى . ان أصحاب السوء منتشرون كالزرزور الاسود .

* وفى اللقاء الثانى قال : انى أريدك امرأة يتيمة لا تشبه النساء .
ـ قلت : لا أستطيع ..

* قال : هل من سبب ؟

ـ قلت : انى ارتبطت بشخص يكن لى الحب ، سيحملنى معه الى الآفاق الخضر ، ويبنى لى قصرا فخما ببيض الطيور ..

* قال : من ؟

ـ قلت : عبد الحميد ..

* قال وهو ينسحب ، كئيب الملامح :

أوصيك به خيرا . انه شهم وطيب . وهو بشر مثقف لا محالة . ومن ذلك اللقاء ، لم أعد أراه . وقيل إنه اختفى وتاه .

أحسست انتعاشا صباحى الرعشات فى دمى . وأحسست ايضا انى احترم سويلمى ، وأحبه أكثر من ذى قبل . فضممت رية الى صدرى وكان الظلام ، وهو يتكشف . حائطا شفافا نتكىء اليه .

(يتبع)

يوسف زروقه

الظرف بالحجاز في العصر الأموي

بقلم : البشير المجدوب

اشتهر الحجاز بالظرف فى العصر الاموى شهرة واسعة حتى لقد نسبت اليه هذه الصفة خاصة وضرب به المثل فقيل : « ظرف حجازى » (1) ، وذلك لان الحجاز كان موطن الحضارة الاسلامية العربية الناشئة وأهم مركز للحياة الادبية الفنية فى ذلك العصر ، تقتبس منه الامصار العربية الاخرى أسلوب العيش وفن الحياة وتنسج على منواله بحيث يصح القول انه تفرد بميزة الظرف دون سائر الاقطار الاسلامية لامتيازه الحضارى عليها (2) .

على أن الظرف الحجازى لا يعدو أن يكون منزعا من منازع النفس يتسم بشىء كثير من العفوية .. نظرة الى الحياة وموقفا منها أقرب الى البساطة والسذاجة ـ ويتمثل هذا الموقف فى اقبال القوم على مباهج الحياة وطيباتها

---

(1) يقول الشاعر :

شادن يسكن الشآم وفيه   مع دل العراق ظرف الحجاز

الاغانى ج 18 ص 196 دار الفكر ـ بيروت

(2) الحضارة التى نعنيها هنا ، وقد اتخذناها مقياسا ، هى هذه الحضارة العربية الاسلامية الناشئة ومركزها ـ كما قلنا ـ الحجاز . فالكوفة والبصرة لم تزالا فى بداية مرحلة التحضر ، ودمشق ، وان كانت عاصمة المملكة ، فهى لا تزال فى طور « التعرب » . لقد تحول المركز السياسى ، أما المركز الثقافى فقد بقى هو نفسه ، أى الحجاز ، وكان الفن الحضرى ـ شعرا وغناء ـ مقصورا فى العصر الاموى او يكاد أن يكون مقصورا على الحجاز مختصا به ، كان بضاعة حجازية صرفا يستوردها الشاميون . انظر فيما يتعلق بتفوق الحجاز الثقافى اذ ذاك وتخلف غيره من الاقطار الاسلامية الاخرى وخاصة الشام الاغانى : ج 14 ص 198 ؛ ج 1 ص 47 ؛ ج 3 ص 129

الى حد الولع والعشق كما يتمثل فى افتتانهم بمظاهر الجمال ـ ولم يصبح مذهبا مرسوما مقننا (3) (كما هو الشأن بالعراق فى القرنين الثالث والرابع للهجرة) له شروطه وغاياته وطرائقه يتقيد بها وتلتزم التزاما ، ويجهد أصحابه فى التحلى بفضائله حتى لكأنها عندهم بل هى قوام معنى الوجود ومقياس الانسانية .. مذهبا يصح اعتباره « فلسفة » فى الحياة ينضوى تحت لوائها طائفة خاصة من المجتمع متميزة ـ ذوقا وثقافة وتفكيرا واخلاقا وسلوكا ـ تؤلف ضربا من « الارستقراطية الفكرية » .

لم يبلغ الظرف الحجازى هذه الدرجة من الوعى والتعمق والنضج ، ولم يستوف بعد مميزات الظرف العراقى ، سواء على مستوى الفكر أو الشعور والاخلاق ، وهى مميزات متعددة كثيرة متداخلة متشابكة ، وان بدت كلا لا يتجزأ .. وحدة لا انفصام لها هى وحدة الشخصية الاصيلة الحق .

كان قوام الظرف فى الحجاز عشق الحياة ـ كما قلنا ـ والكلف بالجمال حيث ما كان ، فكان التأنق والتفنن فى الزينة واللباس ومرافق العيش . وكان قوامه تلك الخاصة التقليدية التى عرف بها العرب ، وهى وليدة ما خصوا به من ذكاء فطرى ، أعنى الفصاحة والبلاغة وما يقترن بها من براعة فى الاحتجاج وحسن التخلص ، وقدرة على الجواب المسكت افحاما للخصم . ثم خاصية ثالثة زادها الترف والتحضر قوة ونماء هى روح الفكاهة والمزاح والميل الى الهزل والدعابة .

أبعاد ثلاثة مجتمعة متآلفة فى الشخص الواحد ، أو مفترقة بحيث تكفى الخصلة الواحدة لاضفاء صفة الظرف على صاحبها ... تلك هى خلاصة الظرف فى الحجاز طيلة العصر الاموى .

أما العوامل التى ساعدت على نشأة هذا الظرف فيمكن اعتبارها صنفين : عوامل تمهيدية ، وكانت بمثابة التربة الصالحة لبروز ظاهرة الظرف ونموها ، وعوامل مباشرة .

فمن العوامل الممهدة لنشأة الظرف :

ـ طبيعة العرب الفنية ، والشاهد عليها ما خصوا به من موهبة البلاغة والقدرة الفائقة على فنون القول من شعر وخطابة وأمثال .

---

(3) راجع خاصة كتاب « الموشى »

ـ ومنها عامل الدين الذى هذب النفوس ورقق المشاعر وأهلها للسمو وتجاوز الذات بازالة الشقاق والتناحر ، وتأليف أمة متماسكة يسعى أفرادها فى التحلي بمكارم الاخلاق فى نطاق الاخوة والمحبة الشاملة .

ـ ومنها أيضا التطور الاخلاقى العظيم الذى يلحظ ابتداء من آخر العهد الراشدى ، ويتمثل فى «تحضر» الشخصية العربية بصورة حثيثة نتيجة للثراء والامن والاستقرار والفراغ (4) الذى عقب الفتوحات ، ونتيجة أيضا لاتصال عرب الحجاز بالاعاجم العريقين فى الحضارة والتأثر بهم خاصة عن طريق الزواج والرق .

ويتمثل هذا التطور الاخلاقى بصفة خاصة فى تغير نظرة القوم الى الحياة تغيرا أشبه بالتحول بحيث أخذوا ينبذون تقشف السلف ويتخففون من ضغوط الدين شيئا فشيئا ، وينزعون الى الاستمتاع بالحياة فى لهفة وشغف . فاتسمت لذلك نفسية أهل الحجاز وخاصة الاثرياء منهم بكثير من التسامح والتفتح .

أما العوامل المباشرة ، وكانت فى غاية الاهمية ، فهى النوادى والمجالس الادبية الفنية وما كان للمرأة (سواء الحرائر أو الاماء) وللشعراء والمغنين من دور فعال فيها ؛ ثم موقف الجمهور ـ ولا سيما الخواص ـ وما كان له من تشجيع للفن وعطف على الفنانين

---

(4) هذا الفراغ الذى بلغ حد الانعزال عن الشؤون السياسية سببه تحول عاصمة الدولة من الحجاز الى الشام ، ثم سلوك خلفاء بنى أمية ازاء الارستقراطية القريشية فى الحجاز ، ويتمثل فى خطة مدبرة مرسومة الى اغراء أبناء البيوتات بالترف واللهو صرفا لهم عن الخوض فى السياسة وحسما لطمعهم فى السلطة . جاء فى الاغانى : ج 50 ـ 51 ص 196 « كان السلطان بالمدينة اذا جاء مال الصدقة **أدان من أراد من قريش منه** ، وكتب بذلك صكا عليه **فيستعبدهم به ، ويختلفون اليه ويدارونه** ، فاذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه ؛ حتى كان هارون الرشيد فكلمه عبد الله ابن مصعب فى صكوك بقيت من ذلك على غير واحد من قريش ، **فأمر بها فحرقت عنهم** » .

النوادى والمجالس الادبية الفنية وأثرها فى نشأة الظرف

المجالس والنوادى الادبية الفنية ، كما عرفها الحجاز فى العصر الاموى ، ظاهرة جديدة لا عهد للعرب بمثلها .. ظاهرة بالغة الاهمية قد أحدثت تحولا فى حياة الحجازيين .

ووجه الجدة والاهمية يتمثل أولا فى مشاركة المرأة مشاركة فعالة فيها حتى أصبحت تقوم بدور الاشراف على بعض من هذه المجالس والنوادى ، وكانت بمثابة المحرك لها والباعث على نشاطها ، نذكر على سبيل المثال نادى جميلة ، ونادى سلامة ، ونادى سكينة بنت الحسين ، ومجالس عائشة بنت طلحة وغيرها من نساء الطبقه « الارستقراطية » وهن كثر .

كما تتمثل الجدة والاهمية فى اتصال الشعراء والمغنين بعضهم ببعض اتصالا وثيقا وتضامنهم ضمن اطار هذه المجالس والنوادى تضامنا (5) قويا نتج عنه ذلك التفاعل العميق والتلاقح المثمر بين الشعر والغناء .

فالشعر كما هو معلوم ، مادة الغناء الاصلية ، وكان ، فضلا عن ذلك ، بمثابة اللقاح يستحث قرائح المغنين ويحفزها للتلحين . أما الغناء فقد ساعد على ترقيق الشعر وتسهيله واكسابه كثيرا من الخفة والمرونة ليستجيب لمقتضيات التلحين ويستجم مع شروط الايقاع والتنغيم حتى لقد أصبح الشعر تبعا لذلك أو كاد أن يصبح غناء (6) .

---

(5) يتجلى هذا التضامن فى علاقة عمر بن ربيعة الوثيقة بالمغنى ابن سريج (الاغانى ج 2 ص 182 ــ 186) وبالمغنية جميلة (الاغانى ج 26 ص 263) وغيرهما من المغنين ؛ وكذلك فى علاقة الاحوص بجميلة (الاغانى ج 26 ص 57 ، 58 ، 263 ، 287 ، 288) .

(6) لنا فى ديوان عمر بن أبى ربيعة وغيره من الشعراء شواهد كثيرة على ما كان يتميز به الشعر الغزلى فى الحجاز وفى غير الحجاز (الوليد بن يزيد) وكانت ثقافته حجازية من صبغة موسيقية . والجدير بالملاحظة أن هذه الرقة والسهولة والخفة والمرونة أمر نسبى لان حركة تطور الشعر ، وخاصة الغزلى منه ، لم تزل فى بدئها ، وسوف تبلغ أوجها فى العهد العباسى بفضل أبى العتاهية وأبى نواس والعباس بن الاحنف وأضرابهم، وأمثال علية بنت المهدى من النساء الشواعر .

وتتمثل أهمية هذه النوادى فى كثرتها مما زاد فى مدى اشعاعها ومكنهـا من بث الذوق الفنى على نطاق واسع حتى تجاوز أثرها الخاصـة الى العامـة وشمل فئات عدة من المجتمع . ولعل الفضل الاكبر فى نشر هذه الحساسية الفنية التى كانت ظاهرة شائعة عامة يرجع الى الغناء لانه قد استحوذ على مشاعر القوم ، ولهج به الناس جميعا وأحبوه حبا يعتبر فى حد ذاته حدثا جـديـدا بديعا . وقد نقل لنا ابو الفرج الاصبهانى أصداءه فى أخبار كثيرة من كتابه الاغانى تثير الدهش والاستغراب ، فكأن النفس العربية بما لها من طبيعة فنية خاصة ونزعة موسيقية أصيلة وجدت ضالتها أخيرا فى هذا الفن الذى احتضن الشعر واحتواه وتجاوزه فى آن واحد ، فكان غاية ليست بعدها غاية .

يقول صاحب الاغانى : « قدمت رسل يزيد بن عبد الملك المدينة فاشتـروا سلامة المغنية من آل رمانة بعشرين ألف دينار ... فخرجت حتى نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك وشيعها الخلق من أهل المدينة . فلما بلغوا السقـايـة قالت للرسل : قوم كانوا يغشوننى ويسلمون على ، ولا بـد لى من وداعهـم والسلام عليهم ، فأذن للناس عليها فانقضوا حتى ملأوا رحبـة القصـر ووراء ذلك ؛ فوقفت بينهم ومعها العود ، فغنتهم :

فارقونى وقد علمت يقينـا ما لمن ذاق ميتة من إيـاب

قال عيسى : وكنت فى الناس ، فلم تزل تردد هذا الصوت حتى راحـت وانتحب الناس بالبكاء عند ركوبها ، فما شئت أن أرى باكيا الا رأيته .. » (7)

وخاصية ثالثة تمتاز بها هذه النوادى هى انفتاحها للتيـارات الثقافيـة الدخيلة ، وخاصة على مستوى الغناء ، (8) تنهل منها وتقتبس ما تطعم بـه الغناء العربى القديم ، فتطوره وتصوغه صياغة جديدة وتخلقه خلقا ثانيا .

دور المرأة فى نشأة الظرف

1 ـ شخصية المرأة الحجازية

لقد كان للمرأة ، كما قلنا آنفا ، مشاركة بعيدة الاثر فى هـذه النـوادى والمجالس ومن ثم فى نشأة ظاهرة الظرف ؛ ولم يكن ليتم لها مثل هذه المشاركة لولا ما ظفرت به من حرية وثروة وثقافة وقوة شخصية .

لقد حظيت المرأة الحجازية ، من بنات الاشراف أو من القيـان المحسنـات المشهورات ، بقدر كبير من الحرية يستغرب حقا اذا وضع فى اطاره التاريخى

(7) الاغانى ج 28 ص 20

(8) الاغانى ج 17 ص 109 ؛ ج 2 ص 176 ـ 177 ؛ ج 9 ص 164

المحدود ؛ فلقد تم مثل هذا التحرر الذى كان شبه طفرة أو انفجار بعد كبت فى مدى جيل واحد ، ومن الصحابة من لا يزال بعد على قيد الحياة .

وكان بين هؤلاء النسوة شخصيات فذة جمعت فألفت بين خصال ونزعات يعسر اجتماعها لانها تكاد تكون فى حكم المتناقضات من ترف وحب للفن والغناء وميل الى الدعابة والتندر من جهة ، وحرمة واستقامة ومتـانة خلقيـة بحيث أجمع الناس على اكبارها وتقديرها ، ولم يتطرق الشك الى سمعتهن ، بالرغم من مواقفهن الجريئة المتحررة والمتسمة أحيانا بروح المغامرة .

يقول ابو الفرج : « كانت سكينة (بنت الحسين) عفيفة سليمة برزة من النساء تجالس الاجلة من قريش وتجتمع اليهـا الشعـراء ، وكانت ظـريفة مزاحة » (9) .

ويسوق لنا هذا الخبر الطريف الذى يصور سكينة فى موقف المتزعـمـة « لمظاهرة سياسية » صغيرة دفاعا عن حرمة أسرتها ومبادىء «حزبها» : «كانت سكينة تجىء يوم الجمعة فتقوم بازاء ابن مطير وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ، اذا صعد المنبر ، فاذا شتم عليا شتمته هى وجواريها ، فكان يأمر الحرس يضربون جواريها » (10) .

وهذا خبر آخر تمتزج فيه المعـارضة السياسية بالسخـرية والدعـابة : « ... وبعثت سكينة الى صاحب الشرطة أنه دخل علينا شـامى فابعث اليـنـا بالشرط . فركب معه ، فلما أتى الى الباب أمرت ففتح له وأمرت جـارية من جواريها فأخرجت اليه برغوثا . قالت : هذا الشامى الذى شكوناه . فانصرفوا يضحكون » (11) .

وقد جاء فى كتاب الاغانى ما يشهد بأن بعضا من هؤلاء النسوة كن ، فـى علاقتهن مع أزواجهن ، حريصات على اثبات شخصيـاتهن يفرضنهـا فـرضا فيتصرفن بطريقة لا تخلو أحيانا من تحد حتى كأنها معاملة الند للند .

جاء فى الاغانى : « كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها مـن أحـد . فعاتبها مصعب فى ذلك ، فقالت : ان الله تبارك وتعالى وسمنى بميسم جمال

---

(9) الاغانى ج 54 – 55 ص 369
(10) نفس المصدر والصفحة .
(11) نفس المصدر ص 370

أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم ، فما كنت لأستره ، ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد » . (12)

وجاء أيضا : « ذكر أن زيد بن عمرو بن عثمان خرج الى مال له مغاضبا لسكينة، وعمر بن عبد العزيز يومئذ والى المدينة، فأقام سبعة أشهر فاستعدته سكينة على زيد ، وذكرت غيبته مع ولائده سبعة أشهر ، **وأنها شرطت عليه أنه اذ مس امرأة ، أوحال بينها وبين شيء من ماله ، أو منعها مخرجا تريده ، فهي خلية** . فبعث اليه عمر فأحضره وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما ...». (13)

وبلغ استقلال الشخصية وحرية التصرف عند بعضهن حد اللامبالاة والاستهانة برأى الاهل والاولياء ؛ يطالعنا هذا السلوك عند نموذجين طريفين من النسوة .. امراتين مسترجلتين (Amazones) من عشاق الفروسية ، على ان احداهما قد دفعت الثمن غاليا لهذه الحرية .

« كان **الدلال** (وهو من المخنثين) ملازما لام سعيد الاسلمية وبنت ليحيى **ابن الحكم بن أبي العاصي** ، وكانتا من أمجن النساء ؛ كانتا **تخرجان فتركبان الفرسين** فتستبقان عليهما حتى تبدو خلاخيلهما . فقال معاوية لمروان بن الحكم : اكفني بنت أخيك . فقال : أفعل . فاستزارها ، وأمر ببئر **فحفرت في طريقها** ، وغطيت بحصير ، فلما مشت عليه سقطت في البئر ، فكانت قبرها . وطلب الدلال فهرب الى مكة ؛ فقال له نساء أهل مكة : قتلت نساء أهل المدينة وجئت لتقتلنا ... » (14)

وقد يطغى روح العبث والمزاح على بعضهن فتعمد الى المغامرة تلذذا بالمغامرة ، غير مكترثة بما قد ينتج عن فعلها من عاقبة فاذا الجد واللهو سيان. وبطلة هذا الخبر الذى يسوقه صاحب الاغاني (وهي سكينة بنت الحسين) حدثتها نفسها يوما بأن تنسج خيوط مسرحية هزلية صغيرة يمكن أن يكون عنوانها « العرس الكاذب » (15) .

---

(12) الاغاني ج 37 ص 106

(13) الاغاني ج 54 – 55 ص 379

(14) الاغاني ج 13 ص 121

(15) يقول صاحب الاغاني : « .. ان سكينة كانت عند عمر بن حكيم بن حزام ، ثم تزوجها بعد ذلك زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، ثم تزوجها مصعب بن الزبير ؛ فلما قتل مصعب ، خطبها ابراهيم ابن عبد الرحمان بن عوف ؛ فبعثت اليه : أبلغ من حمقك أن تبعث الى

ومن مظاهر هذا التحرر والتفتح اتصال النساء ـ نساء الخواص ـ بالشعراء والمغنين اتصالا حرا وشدة ولعهن بالشعر الغزلي وبالغناء ؛ ودفعت هذه الروح الجديدة ببعضهن الى التعرض لغزل الشعراء يتلطفن فى ذلك لينوه بجمالهن ويجرى ذكرهن على ألسنة الناس (16)

وكان للمرأة من الثقافة الادبية والفنية ما أهلها لان تحضر هذه النوادى والمجالس حضورا ايجابيا مثمرا يتعدى مجرد التذوق والاستحسان الى النقد حتى لقد اتخذ بعضهن أحيانا حكما بين الشعراء أو بين المغنين .

جاء فى الاغانى : « اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية نصيب وراوية الاحوص ؛ فافتخر كل رجل منهم بصاحبه وقال : صاحبى أشعر . **فحكموا سكينة بنت الحسين بن علي (عليهما السلام) لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر** ، فخرجوا يتهادون حتى استأذنوا عليها ، فأذنت لهم ...»(17)

سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تخطبها ؟ فأمسك عن ذلك . قال : ثم تنفست يوما بنانة ، وتنهدت حتى كادت أضلاعها تنحط ، فقالت لها سكينة : مالك ويلك ؟ قالت : أحب أن أرى فى الدار جلبة ، تعنى العرس . فدعت (سكينة) مولى لها تثق به ، فقالت له : اذهب الى ابراهيم بن عبد الرحمان بن عوف فقل له ان الذى تدفعك عنه قد بدا لنا فيه ، ائت أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فجمع عدة من بنى زهرة وأعيان قريش من بنى جمح وغيرهم نحوا من سبعين أو ثمانين رجلا ، ثم أرسل الى على بن الحسين، وحسن بن حسن ، وغيرهم من هاشم فلما أتاهم الخبر اجتمعوا وقالوا : هذه السفيهة تريد أن تتزوج ابراهيم بن عبد الرحمان بن عوف.قالوا : فتنادى بنو هاشم واجتمعوا وقالوا : لا يخرجن منكم انسان الا ومعه عصا فجاؤوا وما بقى الا الكلام . فقال : اضربوا بالعصى ، فتضاربوا هم وبنو زهرة حتى تشاجوا ، فشج منهم يومئذ أكثر من مائة انسان ثم قالت بنو هاشم : أين سكينة ؟ قالوا : فى هذا البيت . فدخلوا اليها فقالوا : أبلغ هذا من صنعك ؟ ثم جاؤوا بكساء طاروقى ، فبسطوه ثم حملوها وأخذوا بجوانبه (أو قال بزواياه الاربع) . فالتفتت الى بنانة فقالت : أى بنانة ، أرأيت في الدار جلبة؟ قالت : أى والله الا أنها شديدة » . الاغانى ج 54 — 55 ص 376 — 377 .

(16) الاغانى ج 6 ص 248 ـ 249 ؛ ج 20 ص 76 ـ 77 .

(17) الاغانى ج 54 — 55 ص 386

ويقول أبو الفرج « : كانت جميلة ممن لا يشك فى فضيلتها فى الغناء ؛ ولم يدع أحد مقاربتها فى ذلك ، وكل مدنى ومكى يشهد لها بالفضل » . (18) « ..وفد ابن سريج والغريض وسعيد بن مسجح ومسلم بن محرز المدينة لبعض من وفدوا عليه ، فأجمع رأيهم على النزول على جميلة ... فنزلوا عليها . فخرجوا يوما الى العقيق متنزهين فوردوا على معبد وابن عائشة فجلسوا اليهما فتحدثوا ساعة ... قال معبد : أما اذ قد اختلفنا وأصحابنا المكيون وسكوت لنجعل بيننا **حكما** ... فأجمع رأيهم على الاجتماع فى منزل **جميلة** من غد ... » . (19)

وقد برزت الجوارى المولدات فى الغناء فضلا عن روايتهن للشعر والاحاديث وأوتى بعضهن من الموهبة ما ارتفعت به الى مرتبة الامامة فى هذا الفن (**أعنى الغناء**) ، وأن تكون بحق صاحبة مدرسة فيه اذ قد أخذ عنها وتخرج على يدها أفذاذ من المغنين .

يقول صاحب الاغانى : « وهى (أى جميلة) أصل من **أصول الغناء** ؛ وعنها **أخذ** معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية والشماسيتان : خليدة وربيحة » . (20)

وجاء أيضا : « كانت جميلة أعلم خلق الله بالغناء ، وكان معبد **يقول** : أصل الغناء جميلة ، وفرعه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين ... (21)

كانت مثل هذه المرأة ــ بشخصيتها التى حاولنا أن نرسمها **اجمالا** ــ حرية بأن تؤثر فى معاصريها تأثيرا كبيرا بمظهرها وسلوكها وذوقها وطريقتها فى التعبير .

(يتبـــع)

البشيـر المجـدوب

---

(18) الاغانى ج 26 ص 247
(19) الاغانى ج 26 ص 247 – 254
(20) الاغانى ج 26 ص 245
(21) الاغانى ج 26 ص 246

يا خير من قاد الجهاد (*)

شعر : عمر عبد الباري

شـدت اليـك جميعهـا الأبصـار   يـوم اللقـاء المرتـضـى يـا دار
شدت اليك وفى الحناجر صـرخة   تـدعـو لكيـلا يغلـب الأنصـار
فلقـد تجمعـت الـوفـود ببلـدة   قصـر الهـلال وذاعـت الأسـرار
حـل انشقاق فى الصفوف وانمـا   الأمـر شورى والحـديث جهـار :
حـزب ينادى للسكينـة والرضى   وسـلاحـه ضـد العـدى أسمـار
فى حين يدعـو للجهـاد منـاضل   ذاك الحبيـب القـائـد المغـوار
صـدق الدعـاء وان تلك مشيئـة   قـد شاءهـا الرحمـان والأقـدار
فلقد تقلص ظـل حـزب مـدنف   وأتى « الجديد » وصحبه الأبـرار
قـوم على الحق الصراح تعاهـدوا   يحـدوهـم الايمـان والاصـرار
عشرون عاما والصمود شعـارهم   والحـرب مـا وضعـت لهـا أوزار
ولقد تلاحمت الصفـوف جميعهـا   حـول الحبيـب وكلهـا إكبـار
اللـه أكـبـر فالجهـاد مبـارك   يحمـى الأبـاة الـواحـد القهـار
لم تثن هاتيك السجـون مناضـلا   اذ لم تنـل مـن عـزمه الأخطـار
العنفـوان قضـاه بين مجـاهـل   وسط الصحارى أرضهـا مقفـار
ولكم تنقـل فى البـلاد مناديـا :   « لا تيأسوا مهما اعتـدى الجبـار
هل«يسلم الشرف الرفيع منَ الأذى»   مـا لم تقـدم دمهـا الأحـرار ؟
ليـس الالـه مغيـرا من أمـرنـا   حتـى تثـوب لرشدهـا الأفكـار

(*) ننشر هذا القصيد بمناسبة الاحتفال بذكرى تأسيس الحـزب الاشتراكى الدستورى فى 2 مارس 1934 (الفكر) .

والصحب أين الصحب يوم كريهة ... هم افلتوا ليست لهم آثار
خافوا العدو وبطشه ووعيده ... فتشتتوا اذ هبت الاعصار
قالوا الحبيب معاند ومكابر ... هل بالأكف يعاند المسمار ؟
يا ليت شعرى والعدو مدجج ... يبغى فسادا جيشه الجرار
والشعب جلد صامد قد ساءه ... أن تستبيح ترابه الأشرار
خانوا اليمين وما عليه تعاهدوا ؟ ... ويل العزائم هكذا تنهار !
بقى الحبيب على العهود محافظا ... لم يستكن لم يجده الانذار
ما زلزلت أركانه رغم الضنا ... اذ دأبه الاخلاص والايثار
قهر العدو بجده وصموده ... وبرشده قد زالت الأوعار
يا يوم ذكرى مولد الحزب الذى ... كل القلوب لعزه أوكار
ما أنت الا كوكب متلألىء ... منه السناء يشع والأنوار
أيقظت فى الشعب الأبى مشاعرا ... فانزاح ظلم وانجلت أستار
والنصر جاء مع السلام محققا ... حلم الأباة وكل من قد ثاروا
والشعب يجنى من ثمار جهاده ... خيرا عميما سيله مدرار
والأرض أضحت كالعروس بهيجة ... والجو صاف طيب معطار
والزهر يبسم والحمائم سجع ... كل الشهور بقطرنا آذار
والبشر باد فى الوجوه كأنما ... كل الوجوه من البها أقمار
والتونسى غدا يتيه مكرما ... وقد انجلى عن أرضه الأشرار
خطت فعالك فى السجل صحائفا ... النور فيها والدما والنار
وسمت الى مجد الخلود مناقب ... ما أنت الا القائد المختار
يا خير من قاد الجهاد على المدى ... ما فى سواكم تنشد الأشعار

عمر عبد البارى

رسالة المقروء والمنطوق

بقلم : محمد العياشي

كيف دون الشعر فى الصحيفة وفى العروض ؟ (*)

لقد دون الشعر فى الصحيفة وفى العروض تدوينا مخلا كأن لو كان نثرا بحيث تحصر فيه العناصر الصوتية فى صنفين لا ثالث لهما وهما المقصور والممدود . وذلك كما فى هذين البيتين لأبى العتاهية :

ألا ما لسيدتى ما لها   أدلا فأحمل إدلالها ؟

— ∪ — — ∪ ∪ — ∪ — — ∪   — ∪ — — ∪ ∪ — ∪ — — ∪

وإلا ففيم تجنت وما   جنيت سقى الله أطلالها

— ∪ — — ∪ — — ∪ ∪ — ∪   — ∪ — — ∪ ∪ — ∪ — — ∪

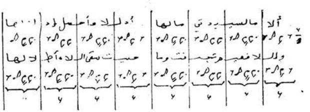
فلما جاء الخليل يبحث عن النموذج الايقاعى لهذين البيتين طلبه ببصره فوجده متمثلا فى (فعولن) و (فعول) و (فعو) . فقبل ذلك بلا تحرج إذ لم يكن من أهل الفن ـ أعيدها مرة أخرى وإن كنت لها كارها لأنها الحقيقة لا يخجل منها إلا مبطل ـ رغم ما يفضى اليه ذلك من التفاوت بين الدورات :

(فعولن) ≠	(فعول) ≠	(فعو)
∪ — —	∪ — ∪	∪ —
1 2 2	1 2 1	1 2
5	4	3

(*) تابع لما نشر فى « الفكر » ع 5 ، س 25 ، فيفرى 1980 .

الا مـا – – ∪ 2 2 I 5	لسبيـ ∪ – ∪ I 2 I 4	ـدتى مـا – – ∪ 2 2 I 5	لـهـا – ∪ 2 I 3
أدلا – – ∪ 2 2 I 5	فاحمـ ∪ – ∪ I 2 I 4	ـل ادلا – – ∪ 2 2 I 5	لـهـا – ∪ 2 I 3
والا – – ∪ 2 2 I 5	ففيـم ∪ – ∪ I 2 I 4	تجنـت – – ∪ 2 2 I 5	ومـا – ∪ 2 I 3
حنيـت ∪ – ∪ I 2 I 4	سقى اللـ – – ∪ 2 2 I 5	ـه أطلا – – ∪ 2 2 I 5	لـهـا – ∪ 2 I 3

كيف ينشد المنشد الحاذق هذين البيتين أثناء قراءتهما فى الصحيفة ؟ إنه ينشدهما عفوا وبلا علم ومن حيث لا يشعر هكذا :



وهو ما يحقق التعادل الكمى الزمنى الذى يجب أن يكون بين الـدورات ؛ اهتدينا اليه حين تحسسنـا الايقـاع بالأذن فاكتشفنـا حقيقتى الاعتضـام والاسكات والحدود الحقيقية التى لكل دورة . وذنـب علـم العـروض وذنـب التفاعيل يتمثل فى أن الخليل بدلا من أن يدون لنا الحركة المنطـوقة دون لنـا الحركة المقروءة .

والدليل على وجود فارق فى الشعـر بين المقـروء والمنطـوق هو أننا إزاء هذا البيت :

لله نهـر سـال فى بطحـاء   أحلى ورودا مـن لمـى الحسنـاء

لا نستطيع أن نبت فى أمره بالاعتماد على التفاعيل وحدها ولم نزل نرجحه بين (مستفعلـن) تارة وبين (متفـاعلـن) بسكون التاء تـارة أخرى وبين الرجز آونة وبين الكامل آونة أخـرى ولم نستطـع أن نرجعـه الى إيقـاعه إلا بالرجوع الى القصيد الذى استخرج منه . ولو كان ذلـك البيت فردا يتيمـا لاجتمع عليه ذل التشرد وذل اليتم ولكان كالدرهم النحيس يطيش من كيس الى كيس .

فهناك فارق موجود بين المقروء والمنطوق ينتهيأ الأداء لابرازه وإلا لما استقام إيقاعان مختلفان لتفعيلة واحدة تكون مشتركة بينهما بلا تمييـز . وإلا لـزم إرجاع الايقاعين لكمال التطابق بينهما إيقاعا واحدا . فالفارق موجود يتمثل فى اختلاف جوهرى موجود لا محالة بين الايقاعين فى مالهما من القيم الحركية والنسب الزمنية . وهو الفارق الذى قعد العجز بالكتابة والتفاعيل عن إبرازه فى بيتى أبى العتاهية وتصدى ترقيمنا لتجسيمه فيهما بأمانة وصدق .

تلك هى التفاعيل التى حفظت الايقاعات الى يوم الناس هـذا شـرحت لك واقع أمرها وحقيقة زيفها وأنا أعى ما أقول . وأمـا قولك إنها كانت الحصـن الحصين الذى حمى الايقـاع فأسطـورة لا تنقص فى شىء عن خـرافة « أمى سيسى » .

3) وأما الخليل الذى وضع علم العروض بعبقرية فذة فتلك تفاعيله تدل على عبقريته . وأكبر مظهر لعبقريته قبوله بتجسيم إيقاعين اثنين مختلفين بتفعيلة واحدة لأن (مستفعلـن) و (متفاعلن) بسكون التاء متساويتان فى القيمة الحركية تساويا مطاقا . ولو كان الخليل على شىء ولو كان يدرى ما يصنع ولو

كان يعي ما يقول لما تقدم بعد ذلك البيت فى نظريته خطوة لأن فيـه تجسيما واضحا لما يقوم عليه علم العروض كله من الخطا والخلط . وأما هو فقد مضى لا يحفل بذلك البيت ولا بغيره من الأبيات وهى كثيرة فى أشعار العرب .

ولعلك مؤاخذى بقولي : « لا يحفل بذلك البيت » فانى أقصد أشباهه ولا أقصده هو بالذات لأنه مما قيل بعد الخليل بقرون فى بلاد الاندلس . ولكننـا لا نعدم عند الأقدمين أبياتا تشبهه كقول بشار :

الحـــــريـد	ـحـى والعصـا	للـعـبـــــد
— — ᴗ —	— — ᴗ —	— — —
للــــه نـهــ	ـر سـال فـي	بـطـحـــــاء
— — ᴗ —	— — ᴗ —	— — —
مستفعلـــــن	مستفعلـــــن	مـفـعـولـــن
متفــاعـلــن	متفــاعـلــن	مـفـعـولـــن

وغيره كثير حتى مما استشهد به الخليل نفسه فى نظريته وأدرجه فى كتابه كقول عنترة :

إنى امـرؤ من خير عبس منصبـا   شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

والذى ينسبه الى الكامل صوابا .. ولكنه من الأبيات المتنازعة بين الرجز والكامل . فالخليل لاحظ بنفسه هذه الظاهرة فلم يتحرج على نظريته منها إذ جهل أو تجاهل الخطورة المتجسمة بها والمتمثلة فيها وهى قيام الحجـة بها على فساد علم العروض وتداعى أسسه وتهافت أركانه .

وليس هذا التنازع بين الكامل والرجز بالشذوذ الذى يمكن غض الطرف عنه ولكنه شائع كثير بين الرجز والكامل وبين الهزج والوافر وبين السريع والكـامل .

فأما التنازع بين الرجز والكامل فقد سبق ذكره .

واما التنازع بين الهزج والوافر فكهذا البيت لابن عبد ربه :

وبـدر غيـــ ــر ممحـوق مـن العقيـا ن مخلـــوق

ں – – – ں – – – ں – – – ں – – –

مفـاعيلـــن مفـاعيلـــن مفـاعيلـــن مفـاعيلـــن

مفـاعلتـــن مفـاعلتـــن مفـاعلتـــن مفـاعلتـــن

بسكون التاء فى تفعيلة الوافر .

هذا ولقد أصبحت لا أشك فقط فى قيمة علم العروض ومـدى اضطـلاعه بتجسيم الايقاعات بل وأشك أكبر الشك فى معرفة الخليل بطبائع الايقاعات ومدى قدرته على التمييز بينها . ولقد كان هذا الشك قائما فى نفسى منذ أمد بعيد فلم يزل يزداد يوما بعد يوم حتى بلغ من التفاقم الى ما لا غاية وراءه . وذلك إثر وقوفى على الشواهد النموذجية التى اعتمدها فى بناء نظـريته ذلك البناء الذى أثبتنا أكثر من مرة قيامه على التلفيق والتزوير أقولهـا صـريحة و « الغش » .

نعم أليس هو الذى ينسب هذا الشطر الى السريع ؟

يـا صـاحبـى رحـلى أقـلا عـذلى

ويجسم بالتفاعيل الآتية :

(مستفعلـن مستفعلـن مفعـولـن)

ولكن ما الفرق بينه وبين هذا الشطر الذى نستخرجه من أجوزة بشار ؟

الحـــر يلحـــى والعصـــا للعبـــد

أو بينه وبين هذا الشطر الذى ينسبه هو نفسه الى الرجز ؟

والقلـب منهـــا جـاهـد مجهـــود

نعم ليس بينها أى فرق فى الحركة لا من ناحية الكم ولا من ناحية الكيف .

– – ں –	– – ں –	– – –
يـا صـاحبـي	رحلـي أقـلـــ	ـــلا عــذلـي
الحـــريلــــ	ـحـي والعصـا	للعـبـــــدي
والقلـب مـنـــ	ـهـا جـاهـدن	مـجـهـــودو

ولا يمكن إرجاعها بأجمعها إلا الى إيقاع واحد : الرجز .
فكيف يزعم الخليل بعد هذا أن شاهده :

يـا صـاحبـي رحـلي أقـلا عـذلي

هو من السريع ؟ وكيف برهن عليه ؟

ولقد كنا نفكر منذ قليل أن يتنازع التفعيلة إيقاعان ؟ فكيف بنا اذا كانت التفعيلة متنازعة بين إيقاعات ثلاثة : الكامل والرجز والسريع ؟

	– – ∪ –	– – ∪ –	– – –
الكـــامـــل	متفـاعلـــن	متفـاعلـــن	متفـاعلـــل
الـــرجـــز	مستفعلـــن	مستفعلـــن	مستفعـــل
الســريـــع	مستفعلـــن	مستفعلـــن	مـفـعـــولا

وهو ما لا يكون إلا ادعـاء وبهتـانا . فهو « غلط » محض و « زيـف » صرف و « غش » مكشوف .

ـ فأما الغلط فيتمثل فى اختلاط الرجز والكامل لعـدم اعتبـار الفـارق بينهما بين المقروء والمنطوق .

ـ وأما الزيف والتزوير فيتمثل فى اختلاق التفعيلة (مفعولات) وتسليطها على السريع غصبا واقتسارا بما يتنافى والمعطيات الشعـرية ليجد مكـانه فى الدائـرة .

ـ وأما الغش فيتمثل فى اختلاق علة لـ (مفعولات) تكون بها (مفعولا) من غير أن يوجد شىء من المعطيات الشعرية يدعـو الى ذلـك أو يستـوجبه . فتكون (مفعـولا) علة مختلقة لتفعيلة مختلقة هى الاخرى . ويكون ذلك هـو عين الزيف والتزوير والتمويه والغش . لان (مفعولن) و (متفاعل) بسكون التاء واللام و (مستفعــل) بسكون اللام و (مفعـولا) ما هى إلا شىء واحد بالنظر الى القيمة الحركية كما تجسمها الكتابة والتفاعيل ، فهى متساوية بل متطابقة تطابقا تاما . وأما محاولة التمييز بينها بالاعتمـاد على مـا بينهـا من الفوارق الصوتية فالسذاجة بعينها . هذا اذا أحسنت الظن ؛ وإلا لم يكن شىء هو أقرب الى ذلك وأشبه به من الغش .

هذا ويبلغ الغش أقصى درجاته عندما تستعصى عليه الشواهد من السريع - لعدم وجود بحر سريع مستقل كما بينا فى النظرية - فيستقيها وبلا تحرج من الرجز وغير الرجز .

- فأما ما استقاه من الرجز فشاهده :

يا صاحبى رحلى أقلا عذلى

ويطابقه هذا الذى ساقه هو نفسه شاهدا فى الرجز :

القلب منها مستريح سالم والقلب منى جاهد مجهود

- وأما ما استقاه من غير الرجز فكهذا الذى يأتى :

يا أيها الزارى على عمرو قد قلت فيه غير ما تعلم

ويطابقه هذا البيت من يتيمة الدهر وهى من الكامل :

فالوجه مثل الصبح مبيض والشعر مثل الليل مسود

ذلك إن كانت العروض (عمرو) كعمرو بن العاص . وإن كانت (عمر) كعمر بن الخطاب فكهذا البيت من القصيدة نفسها :

أجمل إذا حاولت فى طلب فالجد يغنى عنك لا الجد

هذا ولا ينحصر الخلط بين الايقاعات عند الخليل فى رجز أو كامل أو سريع بل يتعداها الى بحور كثيرة .

- ومن ذلك هذا الشطر الذى ينسبه الى الطويل وليس من الطويل . ولكن من الرجز السريع :

هاجك رسم دارس باللوى

- وهذا البيت الذى ينسبه الى الوافر وما هو من الوافر . ولكن من الرجز :

منازل لفر ثنى قفار كأنما رسومها سطور

- وهذا البيت الذى ينسبه الى الكامل وليس من الكامل . ولكن من الرجز :

يذب عن حريمه بنبله وسيفه ورمحه ويحتمى

ـ وهذا أيضا وهو رجز استشهد به فى الكامل :

منــزلــة صــم صداهــا وعفــا   رسمهــا إن سئلت لم تجب

ـ وهذا البيت الذى ينسبه الى المنســرح وليس من المنســرح ولكــن من الرجــز :

قـــالــت وأبـــدت ردا   ويلـم سعـد سعـــدا

وهى فى صيغة الاراجين فليس فى أمره من شك . ومثله هذا وهو أيضا من الرجز وقد ضمه الى المنسرح :

وقـــال لى باستعبـــار   صبرا بنى عبـد الـدار

بسكون الروى .

ـ وهذا البيت الذى ينسبه الى المضــارع . وليس من المضــارع ولكن من الرجــز :

قلنـا لهـم وقـالــوا   كـل لـه مـقـــال

ـ وهذا الذى ينسبه الى الرمل وما هو برمل ولكنه رجز :

إن سعدا بطل ممــارس   صابر محتسب لما أصابه

بسكون هاء الروى ويعضد رأينا فيه عجز هذا البيت الذى سبق ذكره . وهو مما يضيف هذا المقام عن شرح تفاصيله :

منزلة صم صداها وعفــا   رسمها إن سئلت لم تجــب

وغير ذلك كثير مما يدل على طول المسافة التى تفصل بين الايقاع والخليل . ولا شك أن المختصين قد لاحظوا ذلك مثلنا ولكنهم لم يجـرأوا على مجـادلة « الخليــل » .

3) وأما قولك إنه قد حز فى نفسك قولى : « وأما أن يشتغل بدراسته أقوام غرباء عنه دخلاء ... » وقولك : « وأما أن ننكـر على غيـر المختصيــن حــق البحث... » وهو ما عبتنى فيه باشتراط الاختصاص على أهل البحث فانى لا أزال على رأيى لأنى سأظل أعتقد أبدا أن أهل الاختصاص هم أعرف النــاس بميادين اختصاصهم وبالتالى أجدر ألا يخطئوا فيها ـ وإن كان لهم أجر فى الخطا ـ وأحرى أن يقولوا قولا سديدا . هذا وبودى لو أطنب القول فى هــذه

المسألة لأهميتها . ولكن ما عسى أن أبلغ فيها بعد الذى بلغه الامام عبد القاهر الجرجانى فى كتابه « دلائل الاعجاز » ولماذا أقول وقد كفانى مؤونة القـول ؟ فاليك مقالته عسى أن يتعظ بها قوم غافلون .

قـال الامـام :

« واعلم أن القول الفاسد والرأى المدخول اذا كان صدوره عن قـوم لهـم نباهة وصيت وعلو منزلة فى أنواع من العلوم غير العلم الذى قالوا ذلك القول فيه ، ثم وقع فى الالسن فتداولته ونشرته وفشا وظهر وكثـر الناقلـون له والمشيدون بذكره ، صار ترك النظر فيه سنة والتقليد دينا (1) ورأيت الذين هم أهل ذلك العلم (2) وخاصته والممارسون له والذين هم خلقـاء أن يعرفـوا وجه الغلط والخطا فيه لو أنهم نظروا فيه كالأجانب (3) الذين ليسوا من أهله فى قبوله والعمل به والركون اليه (4) . ووجدتهم قد أعطوه مقادتهم وألانـوا له جانبهم وأوهمهم النظر الى منتماه ومنتسبه (5) ثـم اشتهـاره وانتشـاره وإطباق الجمع بعد الجمع عليه أن الظن به أصوب (6) والمحامـاة عليه أولى . ولربما ـ بل كلما ـ ظنوا أنه لم يشع ولم يتسع إلا لأن له أصلا صحيحا (7) وأنه أخذ من معدن صدق واشتق من نبعة كريمة ، وأنه لو كان مدخـولا (8) لظهر الدخل الذى فيه على تقادم الزمان وكرور الايام . وكم من خطا ظاهـر ورأى فاسد حظى بهذا السبب عند الناس حتى بوؤوه فى أخص موضع من قلوبهم ومنحـوه المحبة الصـادقة من نفوسهم وعطفـوا عليه عطـف الأم على واحدها . وكم من داء دوى قد استحكم بهذه العلة حتى أعيا علاجه وحتى بعل به الطبيب (9) . ولولا سلطان هذا الذى وصفت على الناس وأن له أخذة تمنـع القلوب عن التدبر وتقطع عنها دواعى التفكر لما كان يرسخ فى النفوس هـذا

(1) يريد أن الأجيال اذا تناقلته تثق به ولاتهم باعادة النظر فيه .
(2) يريد أهل الاختصاص .
(3) أى (رأيتهم كالأجانب) .
(4) يتعجب من ذلك .
(5) يقصد أصحاب الأسماء الرنانة الذين صدر القول عنهم .
(6) أوهمهم النظر الى ... أن الظن به أصوب .
(7) كعلم العروض .
(8) أى فاسدا .
(9) أى يئس منه .

الرسوخ وتتشعب عروقه هذا التشعب مع الذى بان من تهافته وسقوطه وفحش الغلط فيه . وإنك لا ترى فى أديمه ـ من أين نظرت وكيف صرفت وقلبت ـ مصحا ، ولا تراه باطلا فيه شوب من الحق ، وزيفا فيه شىء من الفضة ، ولكن ترى الغش بحتا والغلط صرفا ؛ وتسأل الله التوفيق » .

ذلك أورثناه الاولون أفلا يعتبر الآخرون ؟ بل أفلا يخجل المعاصرون ؟ ووجه العبرة فيه أنه يتضمن وصفا مثيرا لخطر التقليد فى مجال العلم ، وما يركب عقول الناس فيه من الوهم الذى لا يكاد يستقر فيها ويستولى عليها حتى يستبد بها فاذا هى كأنها فى أكنة أو دونها حجب أو عليها غشاوة فهم لا يبصرون . واذا هم كأنما غشيهم سحر أو تملكهم ذعر فهم ذاهلون . فاذا أتاهم اليقين صدوا عنه وسخطوا منه وبرموا به وتولوا معرضين يبيعون الحقيقة بالزيف ويشترون الغواية بالرشد بئس التجارة وساء ما كانوا يشترون . تلك المحنة ابتلى بها الامام وابتليت بمثلها فلما عرضت لى مقالته رأيت أن أدرجها هنا عسى أن تكون شهادة لى وتبصرة لقوم يتفكرون .

محمد العياشى

من مذكرات أبي نواس المنسية

شعر : البشير المشرقي

(1) مهموم قلبي يا امرأة
مَا جَاءَتْ إلاّ كَيْ تَرْتَاحَ عَلَى جُرْحِي ..
وتحطّ حمامةَ حُبٍّ زَاهِيَةَ الأَلْوَانْ
مهمُومٌ قلبي حتى حَدّ المَوْتِ .. أنَا
مهمُومٌ قلبي .. ترْكض فيه الخيل مُزَمْجِرَة
تَساقَطَ فِيهِ الأوراقُ المُصْفَرّةُ .. تَغْدُو فِي عُمْقِي
الأَشْبَاحُ وَتَنْتَشِرُ الأشْجَانْ
مَهْمُومٌ .. هلاّ أحْسَسْتَ زفِيرِي المَائِجَ كَالبُرْكَانْ
وَ يحزُنُنِي الظَامِيءُ للاحْزَانْ !
(2) مَهْمُومٌ يَا امْرَأة جَاءَتْ بالسِّحْرِ لِتُسْكِرَنِي
مَهْمُومٌ حتّى الموتِ .. وفي بَدَنِي ..
يَسْرِي الإرْهَاقُ .. أنا مَنْ وَدّعَ عِشْقَهُ مِنْ زَمَنْ
فَمَتَى يَحْوِينِي صَمْتُكَ يَا وَطَنِي ؟.
(3) الزّهْرَةُ مَا عَادَتْ زَهْرَهْ
وَالخَمْرَةُ مَا عَادَتْ خَمْرَهْ
لَكِنّ اللوْعَةَ يَا أحْبَابِي تَبْقَى مُرّهْ
تَبْقَى فِي الخَافِقِ كَالجَمْرَهْ !
(4) فِي القَفْرِ لَقَدْ كَانَتْ صَفْصَافَهْ
إنْ هَبّتْ رِيحٌ عَرّتْهَا ..

مَاتَتْ بالأمْسِ الصفْصَافَهْ
لكنّ الريحَ ستَذْكُرُهَا
مَا دَامَتْ تُوجَدُ صفْصَافَهْ
فَمَتَى – إنْ متّ – ستَبْكِينِي الأرْيَاحُ
كَأنّي صَفْصَافَهْ !
(5) الزّمَنُ الهَارِبُ يَرْفُضُنِي
الزّمَنُ الجَارِفُ دوْمًا عَابِرْ
فَسَوَاء أرْفُضُ أحْزَانِي
أمْ أرْضَى بالحُكْمِ القَاهِرْ
سأَظَلّ أنا دوْمًا خَاسِرْ !
(6) قَضيْتُ اللّيْلَةَ فِي حَانَهْ
فَكَأنّ الحَانَةَ زِنْزَانَهْ
وَأتَى الخَيّامُ يُجَالِسُنِي
فَغَدَوْتُ أرَدّدُ الحَانَهْ
فَتُرَدّدُ أصْدَائِي الحَانَهْ !
(7) الشّاعِرُ دَغْدَغَ أوْتَارَهْ
وَغَدَا يَسْتَلْهِمُ أفْكَارَهْ
لَوْ كَانَ الشّاعِرُ يَعْلَمُ أنّ اللّيْلَ سيَعْبُرُ أعماره
مَا حَرّكَ يَوْمًا أوتَارَهْ !
(8) مَهْمُومٌ قَلْبِي .. يَا امْرَأة تَسْطُو كَاللّيْلِ عَلَى مُدُنِي
مهمُومُ القلبِ .. أنَا .. فَمَتَى يَا وَجْها يغْرِينِي ..
بِالسِّحْرِ النّاضِجِ تَفْهَمُنِي ؟
وَمَتَى يَا لَيْلُ ستَعْبُرُنِي ؟

– البشير المشرقي –

الإرادة في ديوان « أغاني الحياة »

بقلم : أحمد الشتيوي

– 2 – (*)

ان معاشرة الشاعر لشعبه وسكونه اليه وشعوره العميق بالانتماء اليه والالتزام بقضاياه – رغم الصراع الظاهري – قد مكنته من التعرف على المانع الحقيقي من الانطلاق والانعتاق ٠ ان السبب في ذلك هو انعدام القائد السائس الذي يأخذ بيد هذا الشعب ويسير به الى نهج الخلاص :

أنت في الكون قوة لم تسسها فكرة عبقرية ذات بأس (17)

لقد استقرأ أبو القاسم التاريخ واستنتج أمرين اثنين :

أ = ان الشعوب مهما كانت ضعيفة مستكينة متخاذلة قانعة هي رغم ذلك قوى أو هي بركان في حالة خمود .

ب – وانه لابد من قيادة رشيدة مستنيرة لتفجير هذه القوة وتوجيهها وقد شرط الشابي أن تكون هذه القيادة ذات تفكير نادر حتى تكون مدركة لصيرورة التاريخ وتحول الاحوال الاجتماعية ، وأن تكون هذه القيادة معتمدة على القوة المادية والمعنوية لتحقيق ارادتها التي هي ارادة الشعب ٠

وقد نتعجب من الحاح الشاعر على بأس هذه الفكرة العبقرية ، ولكن تعجبنا يضمحل عندما نتذكر أن الشعب المتحدث عنه هو محتاج بطبيعته الى القوة لتفجير قوته الكامنة اذ لا يمكن أن تحرك الروح الغبية وأن ننبه الطفل الى الدور الحياتي المطالب به الا بشيء من القسوة بل بكل القسوة ، انه لا يمكن

(*) تابع لما نشر في « الفكر » ع 5 / س 25 / فيفرى 1980 .

(17) الديوان ص 151

أن تتحرك الشعوب الا اذا كشفنا لها نقاب واقعها بدون مداورة أو مراوغة[18] انها مسؤولية تاريخية ، ولذا الح الشابى على أن تكون هـذه القيادة واعيـة مدركة مسؤولة ومواجهة (بالكسر) لان دورها هو تخليص الشعب من ظلمات « العصور التى كبلته » ، دورها هو اخصاب هذه التربة البور وايقاظ الحياة فيهـا .

وبعد هذا التفجير لواقع كان يعتقد أنه مقرر مقدر توجه الشابى في الحديث عن ارادة الشعب الى تهيئة الظرف المناسب لظهور هذه القيادة ولا شك أن أبا القاسم قد ناضل نضالا حقيقيا لاعداد الارادة الشعبية للانفجـار والانعتاق والسعى ، فما هى الوسائل التى توخاها ؟

1) كشـف طبيعة العبودية :

أ ـ **الاستعمار** : ولا يعنى به الشابى تسلط شعب على شعب انما يعنى به تسلط الظلم على الحق(19)فهو ضد طبيعة الحياة وهو معارض لسنتها ونواميسها ولذلك صب عليه جام غضبه . وكشف عن طبيعته الخبيثة فهو «طاغية» (20) وهو «صرح المظالم» (21) وهو «الظالم المستبد حبيب الظلام عدو الحياة» (22) وهو سادر «فى غيه» وهو واقف «فوق الجباه» وهو «جبار» (23) وهو صاحب «المجد والاثراء» (24) .

ب «أهل الحل والعقد» : ولم يكونوا فى ذلك الوقت الا عقبة كـاداء فى وجه هذه القوة المتفجرة فالجهل منتشر (25) وهم غافلون عـن التاريخ وهم نائمون

---

(18) محمد مزالى المصدر المذكور ص 6
(19) قصيدة للتاريخ قالها فى 20 شوال 1351/16 فيفرى 1933 ص 228 .
(20) قصيدة : الى الطاغية 15 شعبان 1345/18 فيفرى 1927 ، وقصيدة الى طغاة العالم 22 ذو الحجة 1352/8 افريـل 1924 الاولى ص 64 والثانيـة ص 264 .
(21) نفس المرجع
(22) قصيدة الى الطاغية
(23) قصيدة قالت الايام 15 رجب 1346/8 جانفى 1928 ص 92
(24) قصيدة للتاريخ ص 228
(25) قصيدة : الصيحة ص 28

« نوما ممغنطا » بل هم ساكتون « سكتة واجم » عن « مواكب الحساد » و «فضاء مآتم» ٠ انهم يفرطون فى الدين :

لحا الله قوما لم يبالوا بأسهم   يصوبها نحو الديانة ظالم (26)

ولا غرو أن يفرط هؤلاء فى القيام برسالتهم فى الدنيا لانهم لم يكونوا مدركين لتلك الرسالة ولم يدركوا أن المفكر له وظيفة عظيمة بل هى وظيفه بدونها لا يستقيم حال الشعب ٠ ان واقع هذه الفئة المفكرة واقع مؤلم يجسم انها هى الاخرى لم تدرك واجبها ٠ فاذا :

الشاعر الموهوب يهرق فنه   هدرا على الاقدام والاعتاب
ويعيش فى كون عقيم ، ميت   قد شيدته غباوة الاحقاب
والعالم النحرير ينفق عمره   فى فهم ألفاظ ودرس كتاب
يحيا على رمم القديم المجتوى   كالدود فى قمم الرماد الجابى (27)

واذا كان الامر كذلك فلا عجب فى أن :

الشعب بينهما قطيع ضائع   دنياه دنيا مآكل وشراب (28)

ج ـ الشعب : ولم يكتف الشابى بتوجيه الخطاب الى الاستعمار وأهل الحل والعقد بل عمد الى توجيه الخطاب أيضا الى هذه القوة المكبلة وهى قوة الشعب فكتب قصيدة «الصيحة» (29) و «نظرة فى الحياة» (30) و «سر مع الدهر» (31)

---

(26) قصيدة يا حماة الدين 16 جمادى الاولى 134 بدون رقم الآحاد والسياق يدل على أن السنة هى 1349 ٠ والقصيدة تشير حسب ما يبدو الى المؤتمر الافخارستى ٠

(27) قصيدة الدنيا الميتة 28 ربيع الثانى 1353/10 اوت 1934 ص 275

(28) نفس المرجع

(29) قالها فى 21 ذو القعدة 1343/13 جوان 1925 صص 28 ـ 29

(30) قالها فى 12 ربيع الاول 1344/30 سبتمبر 1925 صص 35 ـ 37

(31) قالها فى 10 ربيع الاول 1346/7 سبتمبر 1927 ص 87

و «يا ابن أمي» (32) و «سر النهوض» (33) و «للتاريخ» (34) و «ارادة الحياة» (35) و «الى الشعب» (36) الخ ...

ان المتأمل فى هذه القصائد وفى غيرها يلاحظ أن علاقة الشاعر بشعبه هى علاقة غير عادية ان أبا القاسم قد نهل من معين الارادة حتى ثمل فهو مؤمن بها مقدس لدورها فى حياة الانسان . فلم يسترض شعبه ولم يسترحمه ولم يتملق اليه ولم يحاول أن يجامله ويغرر به ويذكره بالماضى السعيد أيام كان العرب المسلمون سادة العالم . ان الشابى رفض أسلوب المغازلة فعاشر شعبه معاشرة قسوة لانه يؤمن من أن العشرة الصادقة يجب أن تكون صريحة لا خداع فيها ولا نفاق . انه كان عنيفا وعنيدا ولا مباليا بما ينتج عن تلك القسوة وذلك العنف والذى جعله يتحدى عواطف الشعب هو ايمانه بمكانة الانسان على هذه البسيطة فابن آدم خليفة الله فى الارض قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (37) وهذا الايمان بمكانة المسلم خصوصا جعله لا يتورع عن مصادمة شعبه وتشريح وضعه ثم ان التاريخ والواقع جعلا الشاعر يستنتج ان الحياة ،حياة اى مخلوق ، لا يمكن أن تستقيم اذا لم تكن مبنية على الاستعداد المادى او الفكرى أو المادى والفكرى فى آن واحد . فأبو القاسم هو قائل :

ان الحيـــاة صـــراع فيهـا الضعيف يـداس
مـا فـاز فـى ماضيها الا شـديد المـراس (38)

---

(32) قالها فى 10 رمضان 1347/20 فيفرى 1929 ص ص 130 ـ 131

(33) قالها فى 1 رجب 1350/12 نوفمبر 1931 ص 193

(34) قالها فى 20 شوال 1351/16 فيفرى 1933 ص 228

(35) قالها فى 26 جمادى الاولى 1952/16 ستمبر 1933 ص ص 240 ـ 244

(36) قالها فى 25 جمادى الثانية 1352/15 اكتوبر 1933 ص ص 250 ـ 253 ونلاحظ ان هذه هى القصيدة الثانية المطولة التى يواجه فيها الشاعر شعبه مواجهة عنيفة بعد ارادة الحياة .

(37) الاسراء 70

(38) الديوان ص 35

ان شاعرنا لم يؤمن بغير القوة وقد عبر عن ذلك تعبيرا صريحا او تلميحا واشارة فى عدة مناسبات فالحياة «صراع» (39) و «الحياة عزم» (40) و «الحياة شوق» (41) و «الحياة طموح» (42) و «الحياة شوق وعزم» (43) ... والحياة صيرورة وتحول (44) .

واذا كان الشابى مؤمنا بمبدأ القوة فمن أين استمده ؟

ان الناظر فى ديوان « أغانى الحياة » يكتشف أن مصادر هذا المبدأ كثيرة ومتنوعة وهى :

---

(39) الديوان ص 15

(40) الديوان صص 193 و 250 و 251

(41) الديوان صص 240 و 241 و 274

(42) الديوان ص 24

(43) الديوان ص 251

(44) لكن العقبة الكأداء التى تقف فى طريق الباحث هى ما عيب على الشاعر من روح كئيب والتجاء الى الطبيعة . لقد فسر بعض النقاد ذلك تفسيرا جزئيا اى انهم نظروا الى قصائد الطبيعة فى حد ذاتها وجعلوها سببا فى نسب الشاعر الى المذهب الرومنطيقى المائع (مثل موقف الدكتور عمر فروخ ، وسلمى خضراء الجيوسى) بينما المفروض أن ننظر الى شعر الشاعر فى اطار متكامل متناسق منتظم واذا قمنا بهـذه العملية فاننا نصل الى النتائج التالية :

أ ـ ان الشابى أحب الطبيعة فعلا وتغنى بها وتغزل بمفاتنهـا لانهـا هى المصدر الوحيد للجمال والالهام والشعر .

ب ـ ان الشابى قال الشعر صغيرا فكان مندفعـا الى حب الطبيعـة خصوصا أثناء فترات الحيرة واليأس ومن من الشباب لا يمر بهذه الحالات. فالتجاؤه للطبيعة هو للاستراحة

ج ـ ان أبا القاسم تغنى بالطبيعة لا على أنها مصدر الهامه وراحتـه انما مصدر تحريك عواطف الانسان فالطبيعة عنـوان الحيـاة والحركة الدائبة والارادة المستمرة

د ـ ان الطبيعة هى مادة تأمل الانسان بالاضافة الى ذاته وقد دعـا القرآن الكريم الانسان الى ذلك حتى يعتبـر « ان فى خلـق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب » (آل عمران 190)

ـ تأمله في تاريخ البشرية : فقد لاحظ أن الاقوى هو المسيطر دائما فالحضارات تتعاقب وذلك اعتمادا على هذا القانون (45) ٠

ـ تأمله في تاريخ البشرية : فقد لاحظ أن الاقوى هو المسيطر دائما حوارا صادقا وطريفا بين الشاعر والارض :

وقالت ، الارض لما تساءلت أيا أم هل تكرهين البشر
أبارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر (46)

ـ ثقافته ولها معينان :

أ ـ الثقافة العربية : فقد طالع الشابي اشعار المتنبي ولا شك أنه تأثر بها وقد عبر عن احترامه لهذا الشاعر في يومياته وأقر أن « المتنبي قد كان عزيز النفس شاعرا بعزته وكرامته رغم امتداحه الملوك » (47) ويعتبر المتنبي أقوى الشعراء العرب ـ على الاطلاق ـ تمجيدا للقوة وافتتانا بها ٠

ب ـ الثقافة الغربية : واننا لنجد صدى لهذه الثقافة في بعض الصور التي اعتمد عليها الشاعر لتصوير عنصر القوة والارادة في أدبه ذلك أن صورة « سيزيف » لم تغب عن ذهنه عندما قال :

ومن لا يحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر (48)

ان « سيزيف » مجسم الارادة في الفكر اليوناني وهو يرفع الصخرة الى قمة الجبل فتتدحرج ويستمر في المحاولة ٠٠٠

ولم يكتف الشابي بايراد بعض الصور بل عنون احدى قصائده باسم اله القوة عند اليونان وهي : « نشيد الجبار أو هكذا غنى بروميثيوس » (49) ٠

واذا كان الشابي مؤمنا بارادة الجماعة فهل هو مؤمن بارادة الفرد ؟

(يتبع)

أحمد الشتيوي

هـ ـ ان الشابي قد استغل الطبيعة ليدعو شعبه الى الحياة فهي أداة تهديد وهي كالضرة بالنسبة اليه ٠ الخ ٠

(45) انظر رأى ابن خلدون في تغلب عصبية على عصبية وحضارة على أخرى في مقدمته ٠

(46) الديوان 241

(47) مذكرات الشابي الطبعة الثالثة ص 27

(48) الديوان 241

(49) قال هذه القصيدة في 27 شعبان 1952/15 ديسمبر 1933 ص ص256_258

الصفقة الخاسرة

بقلم

قصة : دليلة الزيتوني

السماء رمادية اللون وأنسام الخريف الباردة تتسلل الى جسدك النحيف من خلال النافذة المفتوحة ، وأنت جالسة ككل يوم ، تتأملين الطقس .. الحياة .. هذه السماء التى بدأت تفقد جمالها ، زرقتها تدريجيا كل يوم وهذه الشمس التى بدأت تفقد شعاعها واشراقتها وتأخذ فى الذوبان . تتأملين نفسك . جمالك الذى بدأ ينحدر هو أيضا الى الهاوية . الى الفناء . امرأة فى الثلاثين مطلقة ، حتى ثروتك التى تغوى عقول الرجال ، ضاعت منك ببلاهة وحمق .. لا شىء معك الآن غير اليأس تقتاتينه والندم تتدثرين به والدموع تروى ظمأك . ماذا لو قاومت اغراء ذلك الرجل الذى تلهى بك لحقبة من الزمن ؟ وحين استويت بين يديه حطاما وأعقاب سجائر فرغ من تدخينها ، رماك وراح يبحث عن ثروة جديدة وامرأة جديدة !!

تتنهدين ، وتقطبين الجبين ، تذكرين أمسك الزاهى ، حاضرك التعس وغدك المجهول . تذكرين السنوات العشر التى مرت معه هدرا . كنت فى عمر الورود وكان شابا وسيما تتمناه كل فتاة بلهاء ، غبية تبهرها المظاهر البراقة والقشور الزائلة . وكنت فى ذلك الحين تبحثين عن الرجل المثالى الذى يكون حبه لك غاية فى حد ذاتها . لا وسيلة للحصول على ثروة أبيك الطائلة التى ستؤول حتما لك أنت ، الابنة الوحيدة . أحببته بصدق وحين قال : « انى أحبك أحبك أنت مجردة من ثروة أبيك » أحببته أكثر من ذى قبل وتزوجته . كنت غبية وبلهاء حين صدقته وصدقت كل مزاعمه وتوهمت أنك وجدت الرجل المثالى . كنت جاهلة .. جاهلة تماما لحقيقة الرجال . وبعد تجربتك الاليمة عرفت الواقع وتيقنت أن الرجل دائما يظهر عكس ما

يضمر فى دخيلته للمرأة • عرفت عالم الحيوانات الغابية • وعالـم الذئـاب والخنازير والخرفان الوديعة •

مات أبوك ، ولحقت به أمك بعد بضعة أشهر كمدا وحسرة ، وأوكلته على أموالك يتصرف فيها كما يريد • باع الكثير من ارزاقك وحولها الى رصيـد بنكى باسمه الشخصى • زال اهتمامه بك وغدوت بعض متاع مهمل لا حاجة له ، وشيئا فشيئا توالت سهراته وتتالت غياباتـه عـن البيت وكـان كلما سألته عن السبب فى ذلك يطبع قبلة باردة على جبينك ويجيب : « انه الشغل ياعزيزتى » ويسرع فى الخروج •

كل ذلك وأنت غارقة فى ثقتك العمياء ، فى سلوكه لا تشكيـن واقـوال الناس التى تأتيك عنه لا تصدقين ! الى أن جاء يوم انقشعت فيه الغشاوة عن عينيك لترى الحقيقة المرة . دمعـات ساخنـة تنحـدر لتغـرق وجنتيـك ... تطبقين الجفون وتسدين أذنيك بقوة • عبثا تحاولين منع احداث ذلك اليوم المشؤوم من الارتسام أمام ناظريك • تحاولين منع ذلك الصوت الهادر من أن يطرق مسمعك مرة أخرى • تعود الاحداث ويعود الصوت والكل يستقر فى الذاكرة ، فى الجفون المطبقة وفى الآذان المسدودة •

يومها ذهبت الى زيارة عمتك وأعلمته بأنك ستقضين الليلة عندها • وجدت البيت مغلقا وعلمت من الجيران بأنها فى زيارة الى ابنتهـا التى تسكـن فى احدى الضواحى الشمالية للعاصمة • وعدت الى بيتك ، واندهشت حين لاح لك البيت مضاء وقلت فى سرك : « ما الذى جعله يغير عادته الليلة ! أترى هى التوبة جاءت لتعيد له صوابه » • انتابك شعور خفى ، غامض لم تجربيه قبل ذلك اليوم . أحسست بأن شيئا ما سيحدث . وحين فتحت البـاب لاحت لك غرفة نومك مضاءة وازدادت حيرتك ودهشتك وتقدمت خطوتين وتناهت الى سمعك ضحكات امرأة •• انتابتك نوبة جنونية •• دفعت الباب بعنف لترى مشهدا خليعا لم يكن يخطر لك فى بال . قفزت الى ذهنك فكرة الانتقام منهما ، قذفتهما بأفظع الشتائم وببعض الاثاث الذى وجدته أمامـك . حاولت تمزيق شعرها المتهدل وتشويه جسدها البض الناعم فى الغلالة البيضـاء ، تصدى لك كالوحش •• صاح فى وجهك :

ـ هذى حياتى وأنا حر فيها واذا لم تعجبك فليذهب كل منـا فى حـال سبيلـه •

ـ كلب ٠٠ خنزير ٠٠ لا يحلو لك الا الماء العكر ٠

انهال عليك صفعا ، صحت بأعلى صوتك وسقطت على أرض القاعة بينما تابعت هى ارتداء ثيابها ٠ رمقتك بنظرات ساخرة ٠ شامتة ٠ حاقدة واندفعت الى الخارج واندفع وراءها وسمعته يقول :

ـ أنا آسف يا حلوة على الذى حصل ٠

ـ لا داعى لذلك.أنا غالطة ، وانخدعت فيك وها أنا قد جنيت ثمرة طيشى.

ـ أرجوك لا تغضبى ٠ زوجتى تلك سأطلقها لم تعد لى رغبة فيها سأتزوجك أنت ٠

ابتعدت أصواتهما وغابا فى ظلمة الليل ٠ وبقيت وحيدة شريدة ، تتجرعين الاسى والمرارة التى زخرت بها حياتك ٠

٠٠٠ طلقته وعدت الى البيت الكبير الذى شهد ولادتك ٠ طفولتك وشبابك الغض . عدت اليه أشلاء ، عمرا ضائعا ، وحطام امرأة يائسة .. يائسة من كل شىء ٠

تناولت فنجان قهوتك التى نسيتها فى غمرة التفكير ، أفرغتها فى جوفك دفعة واحدة . كانت باردة ، باردة كالطقس كأيامك كأحاسيسك المحنطة .

أخيرا اقتنعت بآراء صديقتك منية تلك الفتاة المتطرفة والمتحررة التىكنت تنعتينها بالشذوذ والجنون ٠

اقتنعت بأن الزواج صفقة خاسرة لا تجلب سوى الغم والمصائب وتأكدت من أن الرجال كالنحل همهم الوحيد التنقل من زهرة الى أخرى وامتصاص أكثر ما يمكن منها ٠

تناولت معطفك ، لبسته وحملت حقيبتك اليدوية وانطلقت الى الشارع ، تبحثين عن شغل يوفر لك العيش الكريم ٠

دليلة الزيتونى

غناء الحب والرحيل ..

شعر : بلقاسم التليجاني

يا حزينا لقيتُ فيك اغترابـي ... وأنيسا ... لوحدتي واكتئابي
أنتَ مجدي .. وعزّتي وإبائـي ... أنتَ شوقي .. وقوّتي ، وشبابي
في شعابِ الحياة قد كنتُ وحدي ... بشجوني ، ولوْعتي ، وعذابي
اتلوّى معَ الرياح العواتـي ... كشراعٍ يتيهُ فوق العبـاب
اِرْتَمَى الموجُ حوله بازدراء ... ثم ضاعتْ الواحهُ في الضباب

★ ★ ★

واذا انت شمسُه قد أطلّتْ ... كمنارٍ من خلف ليلِ السحابِ
فاذا اليمّ هدأةٌ وسكـونٌ ... واذا السحْبُ كلُّها كالسرابِ
واذا النورُ يبعثُ الروحَ فيه ... بعدَ موتٍ بعزلة واغترابِ
انتَ انقذتني .. فانقذتَ قلبا ... شاقهُ الشوقُ لاقتحامِ الصّعابِ
انتَ انقذتني .. فعلّمت نفسي ... ما التعالي وراءَ شُمّ الهضابِ ؟!
انتَ حررتني .. وكسرْتَ قيدي ... ونفيتَ حماقتي واضطرابـي
واعدتَ الرجاء للقلبِ عذْبا ... وزرعتَ الزهورَ في غصنِ غابِي
انتَ علمتني الهوى كيفَ يسمو ، ... فوقَ نفسي .. وفوق رجس الترابِ

★ ★ ★

يا حبيبي .. إننا في ارتحـال ... في طريقِ الحياة .. نحوَ الروابِي
فامنحيني من قوة الحبّ عزمي ... واحمليني الى الربوع الرحـابِ
واحضنيني ، فلن أطيقَ ابتعاداً ... بل حياتي رهينة باقترابـي
ثم ذوبي في انتفاضات قلبـي ... في دمائي .. في مهجتي ..في ثيابي
فالسنونَ التي تغنّتْ ستبكـي ... وحياتي كعوسجٍ في التهـاب
فجأة .. ينطوى المساءُ علينـا ... فاذا العمرُ قصةٌ في كتـابَ

الشعر الاسود

شعر : نور الدين الفرشيشى

(الأسود) اون يعكس ما فى باطنى ،
فالألف من ألمى ، والسين من سقمى ، والواو
من ولعى ، والدال من دربى الأسود .
إلى التى استشارتنى فى صبغ شعرها ...

اصبغيه أسودا ، كالليل ذى الهول الرهيب ..
واتركيه ثائرا ، كالحزن فى قلبى الكئيب !
ألفتنى ثورة الحزن واعصار الخطوب ..
فاعصفى ما شئت كالريح الغضوب ..
فى فجاج لا يؤسيها نواح .. لا نديب ..

* * *

اصبغيه أسودا .. كالليل ، فالليل صديق ..
وسواد الليل حزن فى فؤادى لا يفيق ،
أرسليه فى سمائى ، يحجب الشمس ـ الشروق ،
قد كرهت الشمس فى شعرك ، والنور الخفوق ،
إننى قد صرت أصبو لسواد حالك ، داج ، رفيق

* * *

أسودا .. قلت : اصبغيه كالألم ..
ثائرا .. قلت : اتركيه كالحمم ..
عاصفا .. قلت : ارسليه يضطرم ..
انتى فى الحب ثورى ، ورجعى ، نهم ..
أسود الثورة كالليل .. ومسعور الرجم .

مطالعات



ثلاث مسرحيات ..

بقلم : أحمد الطويلي

ـ «شياطين فى القرية» ، و «الصارخون فى الصحراء»

محمد رشاد الحمزاوى

ـ الزنجي الأبيض لعبد الرحمان حقيق

من المسرحيات التى صدرت بتونس فى السنوات الاخيرة هذه المسرحيات فى كتابين عن الدار العربية للكتاب ، فى شكل خاص فى حجم 2I × I2 .

والكتاب الاول يحتوى على مسرحيتين وهما جزآن من ثلاثية تنتهى بمسرحية « السلسلة » لم تصدر الى حد الآن ولكنها قدمت أخيرا فى المهرجان الصيفى بالحمامات I979

ومؤلف الكتاب الاول عرف قصاصا وروائيا وباحثا جامعيا ، وعرف باهتمامه بالقرية والتصاقه بها يصفها فى واقعية وتعاطف ، ويرسم أشخاصها فيقدمهم لنا فى صور محبوبة ، قريبة للنفوس الا أن فى « شياطين القرية » نجد انفسنا امام قرية اشخاصها من طينة اخرى ، قد انقلبوا جميعا الى شياطين ، واستحالوا الى مشعوذين ، وفاسقين ومتآمرين وفاسدين ، اذ ملئت القرية بالنساء المندفعات وراء شهواتهن ، وبالرجال الراكضين خلف ارتكاب الهفوات والتردى فى الفجور

فالحاكم اصيب بالجنون واختلال المدارك فصار كل من حولـه يتآمر ضـده الى ان سقى سما بعد ان خانته زوجته وتخلى عنه كل اقربائه ..

ونائبه يمثل التعفن فى اجلى صوره ، ارتبط بعلاقة مريبة مع زوجة الحاكم، وطمح الى الزواج من ابنته .

والزوجة خليعة تريد ان « تدفن شهوتها فى جسم شاب غض يطفىء لهيبها الذى يصلى جسدها ، ويتيه بجمالها فيخلقها ويعيدها » وهى لا تتصور نفسها الا « معبودة مشتهاة تداعبها الايدى وتقبلها الشفاه وتود ان تقضى العمر بين قبلة وضمة » ص 26 .

والقاضى الاعور الشهوانى الناقم على القضاء الالهى ، مدبر المؤامرات ومزور مظاهرات الفلاحين ، قد ستولى عليه الحسد والحنق والحيرة حتى صار يصف نفسه بالقذارة (ص 49) الا أن الملاحظ فى هذه المسرحية هى الـرؤيـة التشاؤمية فيها ، والنزعة النقدية الواضحة ، فالمتولون لامـر القرية يعبثـون بمصالحها ، وحتى الشعب فقد ذهب ضحية لهم ، فلم يظهر بصورة جلية الا عن طريق تلك اللافتات العديدة التى تملا المشهد ، لافتات تمثل التناقض المريع وتضارب الامور (هناك صورة امرأة عارية مع لافتات دينية صوفية واخرى ذات نزعة يسارية ......)

ويتجسم هذا التشاؤم فى تصوير هذه القرية التى « لا تفتح فيها ولا حرية ولا أمل ولا اباحة ولا رحمة ولا غفران » ص 9 . هى قرية جهنمية ، وتنتهـى المسرحية بموت الجميع ، اذ يموت الحاكم مسموما ، والقاضى ينتحر شنقا ، والزوجة ترجم ، وابن القاضى كذلك ، ولا يبقى الا نائب الحاكم ليستأنف سلوكه المزرى .

ولنا تساؤل فى الآخر عن دور هذه الطبول المفزعة التى يغلـب دقهـا عـلى الفصل الاول ، وعن ولالاتها أهى تشهر بالشياطين فى القرية وتدل عليها وقد أخذت تدق عندما اراد الحاكم ان يوزع الاراضى على المعوزين من الفلاحين ليتضاعف الانتاج وتوزع المحاصيل باكثر عدالة ، ام هى طبول تشهر الحاكم الملىء بالمغامرات ، هذا الحاكم الذى يتهمه نائبه بانه دابـة فظيعـة خلقتهـا الانتهازية ، ام هى طبول وضعها نائبه وزوجته المتآمران لتشتيت قواه العقلية ، ومداركه النفسية وبث البلبلة فى أفكاره ونخر أعصابه ؟

وتتواصل هذه الرؤية التشاؤمية اليائسة فى مسرحيته الثانية « الصارخون فى الصحراء » ، فهى مسرحية ذات فصل واحد يحتوى على خمسة مشاهد ، وهى تعج بالفرق والافواج والالوان والاصوات المختلفة ...

هناك الفريق الاخضر والاحمر والاصفر والازرق ! وهناك الرياح الخضر والحمر والصفر والزرق !! ... وللقارىء ان يتساءل عن دلالة هذه الالوان ، وعن معنى هذه الفرق والافواج ! . وددنا لو ان المؤلف زادنا ايضاحا عنها أهى مسرحية رمزية !... اذ يرمز كـل لون الى تيار مـن التيـارات الاجتماعيـة والسياسية والفكرية وكأن الكاتب اتخذ هذه الالوان للتعبير عن اتجاهات وشعارات ومذاهب وعقائد متنوعة ومختلفة ، وتنتهى هذه المسرحية بالتهم المتبادلة،وبالارتباك وبفشل كل فريق فى عمله وباخلاط المثل العليا ، وباشتباه القيم الاخلاقية والسياسية .

اما مسرحية « الزنجي الابيض » لبعد الرحما نحقيق فهى مسرحية تتعلق بغرض سياسى وهو التحرر الزنجى وتخلص العالم الثالث النامى من سيطرة المستعمرين ، وتتناول خاصة الابعاد النفسية والاجتماعية لهذا التحرر .

وقد قدم للمسرقية الناقد المسرحى المصرى المعروف الفريد فرج صاحب كتاب « دليل المتفرج الذكى الى المسرح » الصادر عن دار الهلال . والمؤلف هو من الشبان الصحفيين الليبيين الذين يطمحون الى اقامة مسرح ليبى فتى .

واعتنى الكاتب فى مسرحيته بتصوير « زنجى أبيض » اى ذلك الزنجى الذى خرج عن قشرته من أولئك الزنوج الذين تعلموا باوربا وتثقفوا بالثقافة الغربية فتنكروا للونهم وجنسهم وثقافتهم ، وغسلت ادمغتهم غسلا وصاروا متعاطفين مع المستعمرين البيض مقتنعين بان شعوبهم لا تزال بعيدة عن التحرر ومحتاجة الى الحكم الاجنبى . لهؤلاء ينتمى النموذج الذى قدمه لنا حقيق فى مسرحيته ، وهذا الزنجى الابيض قد بات مخلصا للتاج البريطانى ومتفانيا فى خدمته ومتآمرا معه ضد بنى قومه ، يدافع عنه الى حد المسخ وما هو ــ فى الحقيقة ــ الا اداة لينة وآلة طيعة فى يد الحاكم البريطانى يقضى به مآربه السياسية ليتخلص منه بعد ذلك ، ويتنكر له ولا يحس نحوه اثناء ذلك الا بالاحتقـار والازدراء والكراهية .

والمسرحية تصور الى جانب ذلك الاوساط الاستعمارية بما تختص به من تكالب وتعصب واحساس بالغرور والتفوق وبما تسلكه من سياسـة اضطهاد

وكبت للحريات حتى صار الزنجي يساوى عندها « اقل سعرا من البنزين » ص 40 ، وحتى يتورع الرجل منهم عن مصافحة الزنجي ، ولا يرون الزنوج الا على اشكال قردة . ونلمس فى المسرحية كذلك بعض مظاهر للتململ الذى بدأ يظهر لدى الشعب الزنجي والذى بدأ يطغي ويتطور الى ان قاد الى الثورة... وللمسرحية ابعاد نفسانية واجتماعية وسياسية اذ نرى للمؤلف دراية بنفسيات ابطاله ، وخبرة بتقمص الروح الانجليزية الخفيفة المرحة مما يجعلنا نتساءل عن نوعية ثقافته ومدى تكونه وتجاربه. فلا تخلو المسرحية من النكت الانجليزية فى كثير من المواقف المتسمة بصبغة الفكاهة والمرح والتهكم الواضح ، كما اننا نشهد للمؤلف بمهارة فى ادارة الحوار ، وبقدرة على حبك موضوعه ورسم خطوطه ..

وما هذه المسرحية فى الآخر الا دلالة على تعاطف المسرح العربى مع القضايا الانسانية التحررية خاصة القضية الزنجية الافريقية ، وتدل ايضا على طموح المسرح الليبى الى معاصرة القضايا الحالية الهامة وتبنيه لقضايا العدل والحرية والحق والتخلص من القيود التاريخية والنفسية والثقافية المجحفة . ولا يسعنا الا ان نؤمل الكثير فى مستقبل المسرح الليبى وان نبتهج لصدور هذه المسرحية التى تكاملت فيها العناصر التقنية وامتازت بطرافتها ، ومعاصرة موضوعها .

أحمد الطويلي

فـي الأعـداد القـادمة تقـرؤون ..

دراســة : دور وسائل الاعـلام .... **عبد الله الكحلاوى**

دراســة : الحياة الأدبية والفكرية فى القرن 18 و 19 بالوطن القبلي .... **د. الهادى حمودة الغزى**

دراســة : نقد الفرويدية عـلى ضـوء علـم النفس الـزمنى .... **الشاذلي الساكـر**

أصداء الفكر

● **الاستاذ محمد مزالي في فرنسا**

قام الاستاذ محمد مزالي وزير التربية القومية بزيارة رسمية الى فرنسا لدعم التعاون الثقافي بين البلدين . وكانت زيارة ناجحة من حيث الدعم الذى ستلقاه اللغة العربية فى فرنسا فى المستقبل ونشرت جريدة الصباح (الاحد 27 جانفى 1980) استجوابا للاستاذ محمد مزالى جاء فيه :

ادى السيد محمد مزالى وزير التربية القومية مؤخرا زيارة رسمية الى فرنسا تباحث خلالها مع نظيره الفرنسى السيد بـولاك فى خصـوص التعـاون بين البلدين ، كما زار بعض المؤسسات التربوية الفرنسية وحضر درسـا فى اللغة العربية القاه استاذ فرنسى .

ومعلوم انه صدر فى اعقاب هذه الزيارة بلاغ مشترك احتوى على ما توفق اليه الطرفان من اتفاقات تعاون فى مجال التعليم والتعاون .

فى لقاء خاطف تفضل السيد محمد مـزالى مشكورا باطلاعنا على ابرز ما أسفرت عنه هذه الزيارة عمليا :

قال السيد الوزير :

تعلمون ان هناك فى فرنسا ما لا يقل عن خمسة آلاف طفل تونسى يتعلمون اللغة العربية وقد زرت شخصيا مدرسة يتعلم فيها الاطفال التونسيون وقد لفت انتباهى وجود مؤسسة تدعى صندوق العمل الاجتماعى تـابعة لـوزارة الشؤون الاجتماعية الفرنسية ويشرف عليه مباشرة السيد ليونال ستوليرو كاتب الدولة المكلف بالعمال المهاجرين وتعنى هذه المؤسسة بالمهاجرين وفى اطار هذه العناية بحثت مع المسؤولين الفرنسيين امكانية التعاون بين البلدين لتحسين تعليم اللغة العربية لاطفالنا المقيمين فى فرنسا وذلك بان نضـمـن نحن توفير عدد المدرسين اللازم لتعليم اللغة العربيـة عـلى ان يتعهـد هـذا الصندوق ــ فى نطاق العناية بالمهاجرين ــ دفع اجورهم وبذلك يـزداد عـدد الاطفال الذين يتلقون دروس اللغة العربية ويصبح بامكاننا توسيع البرنامج الى الاطفال الجزائريين والمغاربة .

وقد حرصت على ادراج بحث هذه الامكانية لان العمل الذى تقوم به الحكومة التونسية فى هذا المجال يكلف ميزانية الدولة ما لا يقل عن 500 الف دينار بينما لا تمتد فائدته الا الى عشر عدد الاطفال التونسيين المتواجدين فى فرنسا

فلقد اثرت هذا الموضوع اذن آملا ان يعتبر صندوق العمل الاجتماعى هذا الصنف من التعليم ـ تعليم اللغة العربية ـ ضربا من ضروب العناية الخاصة بالمهاجرين ، واعانتهم معنويا

وقد ابدى السيد بولاك تفهمه الكامل لهذا الاقتراح ووعدنى بان يبلغ الامر الى حكومته والى السيد ليونال ستوليرو بالذات

ويتابع السيد محمد مزالى حديثه فى هذا الموضوع فيقول :

،، وليس من شك فى ان هؤلاء الاطفال الذين تعلموا العربية فى المستوى الابتدائى سيمرون الى مستوى التعليم الثانوى ، ولهذا الغرض بحثت مع المسؤولين الفرنسيين امكانية احداث خطط لتعليم اللغة العربية فى المعاهد الثانوية الفرنسية حتى يتمكن الاطفال التونسيون والجزائريون والمغاربة من متابعة تعلم اللغة العربية كلغة حية اولى وحتى نشجع الفرنسيين على تعلم اللغة العربية ومزيد الاقبال على تعلمها ، وقد عبرت عن استعدادنا لتوفير العدد اللازم من اساتذة اللغة العربية التونسيين ويقع انتدابهم عن طريق التعاقد كمتعاونين وهكذا ياخذ التعاون ابعاده الحقيقية وقد وجدت من نظيرى فى الحكومة الفرنسية نفس التفهم وحسن الاستعداد بالرغم عن ان وزارته تلاقى بعض الصعوبات مع نقابات التعليم التى ليست متحمسة لانتداب اساتذة اجانب واكد لى امكانية ذلك حتى عن طريق التعاقد الوقتى

اما المحور الثالث من حديث وزير التربية فقد تعلق بمعهد اللغة العربية الذى اقيم منذ مدة فى العاصمة الفرنسية وبشانه قال :

هو معهد عربى فرنسى حرص الرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان على تكوينه وبعثه وقد تكون فعلا وساهمت فيه ماليا اغلب الدول العربية ولا سيما الدول المنتجة للنفط اما مساهمتنا نحن فهى بشرية

وغاية هذا المعهد هى التعريف بالحضارة الفرنسية فى الشرق العربى بالخصوص ومن جهة أخرى ـ وهذا ما يطلبه الفرنسيون الاحرار ـ التعريف بالوجه الحقيقى للحضارة العربية الاسلامية فى فرنسا ، وانا شخصيا ارحب بهذا المعهد الذى سيمكن دون ادنى شك من تنقية الجو علما واننا شاهدنا خلال السنوات الاخيرة ولا سيما منذ حرب اكتوبر 1973 تدفق شحنات من الحقد

والكراهية وسوء التفاهم التى يعود اصلها الى الحروب الصليبية وهذا الامر ناتج عن سوء معرفة لبعضنا البعض ، واذا تمكنا من تعريف فرنسا والعالم الغربى عموما بالوجه الحقيقى السمح والمشرق لحضارتنا العربية والاسلامية فاننا نقضى على كل الافكار المسبقة ونجعل الشرق والغرب بصفة عامة وفرنسا والعالم العربى بصفة خاصة يقدرون قيمهم حق قدرها واذا عرفنا قيمنا وقدرناها يتوفر مجال الصداقة مما يدعم امكانيات السلم والتعاون ،

وانى شخصيا اقدر اهمية هذا الموضوع ولقد وجدت من وزير التربية الفرنسى استعدادا كبيرا لتطوير هذا المعهد ورعايته حتى يؤدى رسالته على افضل وجه

ويواصل السيد محمد مزالى حديثه فيقول :

كما بحثت مع المسؤول الفرنسى موضوع تكوين المكونين ورفع مستوياتهم فى التقنيات والرياضيات والفيزياء والكيمياء وكذلك فى اللغة الفرنسية ونحن نعتبر ان هذه اللغة يجب ان تدرس كلغة ممتازة وخاصة من حيث تقنيات تدريسها وبيداغوجيتها الجديدة والمتطورة كما اتجهت عنايتنا ايضا الى بحث التعاون فى تقنيات الاعلامية والادمغة الحاسبة Télématique وقد ترجمها السيد البشير بن سلامة الذى حضر معنا اللقاء الى (تلتعلامية على غرار تلفزة) التى سيكون لها شان كبير فى وزارة التربية القومية فى السنوات القادمة ، وقد وجدت السيد بولاك متحمسا لهذا النوع من التعليم لانه سيحدث فى أساليب التعليم ثورة شبيهة بثورة اكتشاف الطباعة ، وانى أفضل شخصيا بل يجب علينا أن نسير مع المتقدمين فى نفس الوقت حتى لا نبقى اذيالا خاصة وان تونس مدعوة الى ان تضطلع فى هذا الباب بدور طليعى ومن الافضل فى رايى ان نلتصق بالمتقدمين حتى نجنب نظامنا التربوى التاخر والتعثر والتحجر والتعاون فى هذا المجال مجد ومفيد اذ يجب ان نفكر من الآن فى هذا الامر واستيعابه حتى نستطيع التصدى لمضاعفاته الممكنة فى الوقت المناسب والاستفادة بايجابياته

وسالنا الوزير فى الختام عما سيتم بشان معهد كارنو الثانوى فاجاب :

اقترحنا ـ وقد قوبل اقتراحنا بالقبول الحسن ـ ان يكون مدرسة ثانوية تونسية يدرس فيها التعليم التونسى كما هو الآن على ان يكون حظ اللغة الفرنسية باساتذة ممتازين لا سيما فى اللغة الفرنسية حتى يستطيع الخريجون مواصلة تعلمهم فى المدارس العليا سواء فى الرياضيات أو الآداب .

لكن كيف سيكون الدخول اليه ؟ قد يقول البعض ان المسالة هى مسالة انتقاء ، لا لانه سيقع اجراء مناظرة وسنعمل بطريقة المعهد الصادقى سابقا ، بحيث يمكن ان يلتحق اى كان من اى مكان فى البلاد والشرط الوحيد هو ان يكون الملتحقون به من اوائل الناجحين فى المناظرة وستكون المناظرة مفتوحة للراغبين فى ذلك .

وليست هذه الا فكرة او بالاحرى مشروع لما نعتزم القيام به ، اما المقاييس والاجراءات والبرامج فلم نطرقها بعد .

● افتتاح نشاط المركز الدولى بالحمامات «معرض المجـلات التونسية »

بمناسبة افتتاح موسم نشاط المركز الثقافى (25 جانفى 1980) نظم معرض احتوى على النشريات والمجلات التونسية اشرف عليه وزير الاعلام والشؤون الثقافية .

وجاء فى كلمة الاستاذ رشاد الحمزاوى مدير المركز بالخصوص : متجها الى الاستاذ محمد مزالى :

ـ يا سيدى يا من علمتنى السحر وأعنى به سحر البيان انى اتذكرك أستاذا جديدا بالمدرسة الصادقية وأنت فى بحث دائم عن فكرة تشغل فكرك.

وأتذكرك تحدثنا عن ثقافتنا وعن عزها وعزتها وتجرى وراء أمل يوفق بين ايماننا واسلامنا وبين حق الانسـان فى القـدرة والتحـرر . وكنت تحدثنـا عن (Mounier) ومجلته (Esprit) ثم فاجأتنا يوما « بفكرة » « الفكر فابتهجنا بها ففتحت للتونسيين بابا كانوا لا يطمعون به .

أتذكر البشير خريف وهو يتردد فى تقديم انتاجه اليك . فكان يمشى ويعود وكان يهم ولا يفعل كما يقول الجاحظ : ثم سلم لك قصة « **حبـك دربـانى** » فقبلتها فاندهش الرجل ـ مزالى يقبل القصة وقصة الحب وفيها المرأة وتتطعم بالعامية لغة شعبنا فى آلامه وآماله وتشجعت وارسلت لك **طرنـو** فقبلتهـا وقبلت أغانى شعب وشعب الرياضة المحببة اليك .

وأتاك المدنى بـ (انسانه الصفر) . فحملته بالاحضان وكان بعضهم يدعوك الى شنقه بالبطحـاء العمومية .

وأتاك كثير كثير

وهاجمك الشبان والكهول وقالوا : « الفكـر » لم تبق فكـرا لكنك تركت الباب مفتوحا للافكار حتى لا يسود فكر مستبد .

فهل لك من قولة فى هذا التاريخ وهذا الجلال ؟

واثر ذلك أخذ الكلمة السيد **فؤاد المبزع** وزير الاعلام والشؤون الثقـافية وقال بالخصوص :

« نفتتح نشاط المركز الثقافى الدولى بالحمامات لسنة 1980 بمعرض عـن المجلات التونسية ابتداء من الخمسينات . وهذا موضوع ذو شأن له صلة وثيقة بشعار وزارتنا التى ربطت الاعلام بالثقافة . وهو يستجيـب الى اهتمـامنـا بتواصل هذين المفهومين فى تبليغ الثقافة وتعميمها ونشر المعرفة وتأييدها . وتلك غايات تعتبر من أهم اهداف المجلات .

ان هذه الوسيلة الاعلامية التثقيفية قد فرضت نفسها منذ بدايـة النهضـة العربية ولعبت دورا مهما فى احياء الثقافة العربية الاسلامية وفى تطويـرها وتحديثها . ولقد ساهمت ايضا مساهمة عظيمة فى تحرير التفكيـر العـربى وتحرره . فبقدر ما اعتبر شوقى الصحافة بأنها آية العصر فى قوله :

لـكـل زمـان مضـى آيـة وآية هـذا الزمـان الصحف

لسان البلاد ونبض العبـاد وكهف الحقوق وحرب الحتف

عرفت المجلة بأنها الصحيفة التى تجمع طرائف الحكم وبأنها «صاحبة الجلالة» التى ما انفكت تنازع الصحافة فى الفوز بمرتبة السلطة الرابعة . »

اما الاستاذ **محمد مزالى** الذى دعى للمسـاهمة فى هـذا اليـوم باعتبـاره مؤسسا ومديرا لمجلة ثقافية تونسية (الفكر) فقد تحدث باسهاب عن اطوار ومراحل تأسيس هذه المجلة مبينا الاهداف التى رسمتها اسـرة التحـريـر للتعريف بالانتاج التونسى الاصيل متوخية فى ذلك التحرير والتحرر الفكرى وقد جاء فى كلمته ما يلى :

انى لاشعر بثقل الاعوام تمر فيزداد الصمود وبنخوة الاستاذ يلتقى بتلاميذه على درب الزمالة والنضال الفكرى المشترك بعد أكثر من ربـع قـرن . وانى

لسعيد بهذا اللقاء وقد تحقق الكثير مما كنت اعتده من آمال ورأيت ثمار العمل من أجل الغير . وانى لمرتاح لمبادرة المركز الثقافى الدولى بالحمامات فى تقديم « معرض المجلات التونسية » هذا ، وانى لممتن لهذه الدعوة الكريمة التى تتيح لى فرصة الحديث عن مشروع ضمنته ايمانى وطموحاتى الفكرية ، كما أن دعوة الاستاذ محمود المسعدى الى الحديث عن « المباحث » لفتة هامة الى مجلة كان لها دور قيادى عظيم غداة الحرب العالمية الثانية اذ كانت السند الثقافى للحركة السياسية التى يقودها المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة .

ان صديقى وزميلى الاستاذ فؤاد المبزع قد استعمل المضارع عند حديثه عن « الفكر » ، وانى لاعتز بذلك اذ لم يكن من طبيعة المناخ الثقافى أن تبقى « الفكر » واقفة صامدة متطورة فى خدمة العربية فى هذه الديار .

والسؤال المطروح هو كيف ساهمت « الفكر » فى حركة التحرير والتحرر ؟

لقد قمنا بعملنا وثابرنا عليه رغم الصعاب المختلفة على **مستويات ثلاثة :**

المستوى الاول نفسانى ذلك أن ما كان يشل النشاط الثقافى فى بلادنا هو عدم ثقة التونسى فى امكانية استمرار صدور المجلات الثقافية ، فقد كانت هذه المجلات لا تستطيع البقاء فعلا ، الامر الذى أورث الاعتقاد الانهزامى بأن التربة التونسية عقيمة يستحيل أن تظهر فيها حركة فكرية تتبلور حول مجلة رائدة . كما أن الادباء كانوا لا يجدون فى انفسهم الثقة ولا الحاجة الى الكتابة المثابرة ولم يكن بامكانهم فرض انتاجهم فى الساحة التونسية . وان هم صمدوا وكافحوا قل أن يجدوا لدى الصحف تشجيعا . وهذا علاوة على مركب النقص الذى يجعل التونسى يحتقر ما ينتجه التونسى . ان الشابى مثلا ما كان له أن يعرف وأن يقدر لولا أن جاء الاعتراف به من الخارج اذ فتحت له مجلة « أبولو » صفحاتها ولولا أن وجد فى الاديب التونسى المناضل زين العابدين السنوسى سندا ومعرفا .

المستوى الثانى اخلاقى ذلك أن بعث مجلة ثقافية أمر سهل ، اما توفير اسباب البقاء لها فأمر صعب جدا ، لذلك كان استمرار العمل فى هذا الميدان يتطلب صفات اخلاقية أهمها ما يسمى فى لغة الرياضة « بروح الفريق » أى بتحمس جماعة من الكتاب للمجلة وتطوعهم للاسهام فيها .

وقد تحلت أسرة الفكر بهذه الصفات وبالتواضع أيضا تواضع قوامه الاعتقاد بأن اعضاءها غير معصومين ينظرون مبدئيا الى أن الانتاج الوارد ـ بصرف النظر عن الامضاءات ـ ذو قيمة وهكذا لم تمنح اسرة الفكر نفسها الحق فى

الحكم بالاعدام على انتاج الغير ، وخاصة انتاج الشباب ، وبذلك ساعدنا على تفتح مواهب كثيرة كانت تموت لو لم تجد مجلة الفكر مستعدة لاحتضانها .

وكنا نتعرض فى الكثير من الاحيان الى أذى اصحاب العواطف المريضة من تعليقات واشاعات وأقاويل غايتها تحطيم الاعصاب وتثبيط العزائم . فتحملنا وعملنا بمبدأ « القافلة يجب أن تسير » ، فالهدف الاول فى نظرنا هو انجاز مشروع حضارى يشرف تونس . لقد لاحظت فيما لاحظت صغارة انفس تتملقك ان كنت فى مركز قوة وتزور عنك وتكيد لك ان خرجت من ذلك . ويذهب الكيد احيانا ببعضهم الى الاستنجاد ببعض الاساتذة الجامعيين الاجانب ليكتبوا ضد الفكر فى بعض الصحف الاجنبية . واجهنا الصخب وواجهنا أيضا مؤامرات الصمت وهى شر المؤامرات

المستوى الثالث حضارى فلقد عملنا على التحرر من الوجهة الثقافية فلم تتأثر « الفكر » بما فى الماضى من سلبيات وفتحنا الباب فى وجه كل بوادر التجديد والخلق والابداع . لقد نشرنا انتاجا ما كان يمكن أن ينشر نشرنا للبشير خريف ولعز الدين المدنى ولرشاد الحمزاوى الذى كان لى دور فعال فى لفت النظر الى طرافة روايته « بودودة مات » فأحرزت جائزة على البلهوان. ولقد تعرضت المجلة وتعرضت شخصيا الى مشاكل لا داعى الى ذكرها الآن لاننا نشرنا « الانسان الصفر » لعز الدين المدنى . ورغم ذلك كله يتهم البعض المجلة بأنها حكومية « منسجمة » . والواقع أننا عملنا على تحرير الفكر التونسى بتمكينه من التعبير عن همومه ومشاكله وطموحاته بكامل الحرية وكذلك بتصدينا الى كل محاولات الاستيعاب الثقافى والاحتواء الحضارى أيا كان مصدرها . وقفنا ضد الامبريالية الرأسمالية وضد مفهومها للقيم كما وقفنا ضد الايديولوجيات التى كانت تعمل تحت شعار التقدمية على استئصال الشباب التونسى من جذوره . لقد كانت الفكر ولم تزل اصبع اتهام يشير الى كل أنواع الاستعمار الجديد ، ايمانا منا بأن لكل شعب حساسية ينفرد بها وسلم قيم خاصا به ، وأن الشرط الاساسى لقيام حوار نزيه مثمر بين الحضارات بين الشمال والجنوب هو احترام ذاتية كل شعب من الشعوب .

ان مثل هذا الكلام يبدو اليوم سهلا بعد أن انهارت كل الايديولوجيات وأفلست المذاهب الغربية والشرقية . أما نحن فقد قاومنا كل التيارات الهدامة ووقفنا فى وجه كل استعمار مقنع فى الخمسينات وفى الستينات ايام كانت تلك الايديولوجيات فى أوج قوتها وسلطانها .

وفى الختام أريد أن أقدم هذه الشهادة : ان الحكومة لم تتدخل اطلاقا بصفة مباشرة أو غير مباشرة فى ما ينشر بالفكر رغم جرأة الكثير من النصوص التى نشرناها . وما زلت أذكر أن السيد الرئيس الحبيب بورقيبة بعد اطلاعه على العدد الخاص الذى أصدرناه منذ سنوات عن الاسلام قد لاحظ لى بخصوص مقال للاستاذ هشام جعيط : « ان الطاهر الحداد لم يقل عشر هذا الكلام ومع ذلك كفروه واضطهدوه ومات كمدا .. »

● **الاستاذ محمد مزالى فى قطر والبحرين :**

قام الاستاذ محمد مزالى بصفته وزيرا للتربية القومية بزيارة رسمية الى كل من دولتى قطر والبحرين وقد انتهز الفرصة لالقاء محاضرة عنوانها : « **خواطر حول التربية** » فشرح فيها أساليب التربية من مختلف جوانبها وركز على أهمية الثقافة وما تعود عليه بالفائدة للفرد والمجتمع واستعرض أساليب التربية من مختلف جوانبها ومراحلها خلال الجيل الماضى وما يقع على ذلك الجيل من مهمة مقدسة تجاه الجيل الناشىء فى الميدان التربوى والثقافي والعلمى وأكد على ضرورة الاستفادة من كل التجارب الماضية من أجل خلق الانسان العربى المثقف والواعى والمتمسك بقيم أمته العربية المسلمة . وكان القى قبل ذلك سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية والتعليم كلمة هذا نصها :

أصحاب السعادة الشيوخ والوزراء ..

حضرات الضيوف الكرام ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ..

يسرنا غاية السرور أن نلتقى فى هذه الامسية المباركة بعلم من أعلام التربية والتعليم والفكر والثقافة فى عالمنا العربى علم له فى عالم الكلمة والرأى باع طويل وعطاء جزيل أثرى المكتبة العربية بعديد من مؤلفاته القيمة كما أثرى المكتبة العربية والدولية برأيه الثاقب وفكره البناء مما يجعل الامة العربية فخورة بانتمائه اليها وهو فيما كتب وألف وأنتج إنما يصدر عن فكر عربى اسلامى أصيل ينبع من القيم النبيلة والمثل الجليلة لهذه الامة الخالدة .

أيها الاخوة ..

لقد التقت كل الصفات الطيبة والمميزات النبيلة فى شخص من أقدم لكم وهو معالى الاخ الكريم الاستاذ محمد مزالى وزير التربية القومية بالجمهورية التونسية الشقيقة .

ومحاضرته اليوم بعنوان .. «**خواطر حول التربية**» والتربية تستدعى اليوم كثيرا من الخواطر فهى فى أمتنا هم كل العلماء المخلصين والمفكرين المصلحين.. لذا يسرنى أن أدعو معالى الاخ للتفضل بالاضافة فى خواطره فى محاضرته التى ننتظرها جميعا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ولعلنا سننشر نص هذه المحاضرة فى عدد قادم .

● **قصص للأطفال بالفرنسية :**

مجموعة كتب للأطفال صدرت عن الدار التونسية للنشر **باللغة الفرنسية** كتبها **بيارا وليفيى** صديق تونس وصورتها سيمون حشيش وكذلك **قصة أخرى للأطفال** كتبها **ابراهيم** بن خليفة باللغة الفرنسية أيضا .

● **جولة بين حانات البحر الأبيض المتوسط باللغة الفرنسية :**

هذه القصة التى كتبها على الدوعاجى ونشرت مرات عديدة صدرت عن الدار التونسية للنشر فى هذه الايام باللغة الفرنسية . وهذه **بادرة طيبة** نشكر الدار عليها لانها تخرج بأدبنا من إطاره العربى الى **المجال العالمى وتعرف** بطرافة الادب التونسى .

● **الاسلام :**

هذا كتاب نشرته الدار التونسية للنشر للاستاذ محمد الطالبى كذلك كتاب آخر عن الاسلام والمسيحية والكفر لنفس المؤلف واضافة الى ذلك كتاب حول مستقبلية الاسلام لاسكندر فونتان . هذه **الكتب الثلاثة تعرف اهل** الفرنسية بوجهة نظرنا فى الاسلام .

● **العلم والتكنولوجيا فى خدمة التنمية**

عقد فى فينا فى أوت 1979 مؤتمر الامم المتحدة لتسخير العلم والتكنولوجيا لاغراض التنمية . وتناول خطباء كثيرون هذا الموضوع بالدرس منهم السيد أحمد المختار امبو المدير العام لليونسكو وكذلك السيد عبد السلام مدير

المركز الدولى للفيزيا النظرية (تريستا) والحائز على جائزة نوبل للفيزياء (1979) وقد جاء فى كلمة العالم عبد السلام ما يلى :

« وقبل ان انهى كلمتى ، اود ان اوجه ثلاثة نداءات : الاول ، الى مندوبى البلاد المتنامية ، فأقول لهم :

ان قضية العلم والتكنولوجيا مرهونة بتصرفكم . فرجال العلم عناصر ثمينة يمكنكم الاعتماد عليها . فلا تهملوا امرهم . اتيحوا لهم امكانية الاسهام فى التنمية العلمية والتقنية لبلادكم . ولا تتركوهم جانبا . وما هدف العشرين مليارا التى يتوجب تكريسها للعلم بدلا من مليارين ، سوى مطلب يقع ، فى نهاية الامر ، ضمن نطاق مسؤوليتكم .

واما ندائى الثانى ، فاود ان اوجهه الى المجتمع الدولى ، سواء للحكومات او رجال العلم ، فاقول :

ان المركز الدولى للفيزياء النظرية يعتمد على ميزانية تبلغ مليون دولار ونصف لتغطية 100 بلد متنام ، بينما تحظى هذه المنظمة الكبرى التى تعمل فى جنيف والتى أحيى جهودها ، عنيت بها المركز الاوروبى للبحوث النووية ، بميزانية تبلغ مليار دولار تتكفل بدفعها البلاد الاوربية مجتمعة . ولكى يكون البحث العلمى عملا مجديا ،فلا بد له ان يكون قائما على مثل هذا المستوى .

واما ندائى الثالث ، فأوجهه الى اخوانى فى البلاد الاسلامية الذين حمل اسلافهم مشعل البحث العلمى فى القرن الثامن والقرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادى عشر ، وانشاوا المجامع العلمية فى بغداد والقاهرة فأقول :

« لقد تكرم الله على بعضكم ، فاغدق عليه دخلا يبلغ 60 مليار دولار . وان البلاد التى اتحدث عنها ينبغى أن تخصص سنويا مليار دولار للعلم والتكنولوجيا ، حسب المعايير الدولية . فدللوا ، مرة اخرى ، على سخائكم . وكرسوا هذه المليارات من الدولارات للعلم الدولى ، حتى ولو لم يفعل ذلك الاخرون . وانشئوا صندوقا لمؤازرة الموهبة . فالموهبة هى الفارق المميز ، فى نهاية الامر . وضعوا ذاك الصندوق لا فى تصرف البلاد الاسلامية فحسب ، ولا البلاد العربية فحسب ، بل فى تصرف جميع البلاد المتنامية . واما اسهامى الشخصى المتواضع فى هذا الصندوق فيكون مبلغ جائزة الستين الف دولار التى ستتكرم الاكاديمية السويدية بمنحها لى يوم 10 ديسمبر / كانون الاول 1979) . (عن أنباء اليونسكو) .

● **رسالة الى المعلم الاول فخامة الرئيس :**

نظمت شعبة حمام الغزاز حفلا وطنيا هاما أشرف على افتتاحه الاستاذ محمد مزالى مدير مجلة « الفكر » بمناسبة ايقاد الشعلة النضالية للحزب الاشتراكى الدستورى وقد القى المربى السيد : عبد الكريم بن حموده الغزى هذه القصيدة فى الحفل :

على الطائر الميمون يا خير قادم ... فأهلا وسهلا بالعلا والمكارم
قدمتم بحمد الله أكرم مقدم ... مدى الدهر يبقى ذكره فى المواسم
حللتم - بحمام الغزاز - كما الهوى ... أطل بأجفان الرياض البواسم
وكنت الربيع البورقيبى توهجا ... وكنت مقيم الفكر يا خير قائم
بفكر واخلاص وصدق وصحبة ... سداها حبيب الشعب بعدا لواهم
مواكب فخر للنضال تباشرت ... وذكرى لحزب بانيا غير هادم
ملاحم أذكاها الجهاد فأنتجت ... وكان دم الاحرار ارغام راغم
اذا قلت (حمام الغزاز) فمعقل الـ ... حبيب وأنت النبع يا غنم غانم
فكم زورة تشفى ولكن زورة ... لكم كرفيف الشوق فى جفن حالم
أثارت عهودا يا حبيب حبيبها ... فيا شوق ما أبقى ، ويا علم عالم
أقلها فحمام الغزاز وفية ... هى الدعوة البكر وحرب المساوم
نمدت بتليد يا (محمد) جنة ... ومن لطريف ، يا محمد ، حائم
تناجيك فى أمر وأنت طبيبه ... خبير ، فهبها القسم يا خير قاسم
وقد علمت ان المربى حبيبها ... فقل لحبيب الشعب زورة منعم

كما القت الطالبة : « سامية بن حمودة » هذه الكلمة :

بسم الله الرحمان الرحيم ،

وباسم شباب حمام الغزاز طلبة وطالبات نرحب بمن عرفنا فيه رعاية الوالد العطوف ، واخلاص المسؤول النزيه ، صاحب مجلة الفكر ، وعضو الديوان السياسى ووزير التربية القومية الاستاذ محمد مزالى

أيها الأب المربى والزائر البورقيبى الكريم : لقد كان تفضلكم بالاستجابة للحضور بحمام الغزاز معقل المجاهدين كما سماها المجاهد الاكبر ، للاشراف على ايقاد الشعلة النضالية للحزب الاشتركى الدستورى يعد بحق موسما من مواسم شرف هذه المدينة ، ورمزا من رموز نخوتها الحزبية . وأى نخوة أعز وأكرم من نخوة تستمد اشعاعها من مبعوث المجاهد الاكبر ، هو الاستاذ محمد

مزالي ، الجامع بين المزيتين والمبرز فى الخطتين ، نضالا فى السياسة وجهادا فى الفكر حتى تنافست المجامع العربية فيه وتسابقت فيه انتسابا .

أيها الزائر الحبيب لئن يعجز اللسان ففى القلم المبين اعرابا عن حبنا وآمالنا ، وتعلقنا ووفائنا .

واذا كانت حمام الغزاز ثرية بماضيها البورقيبى ، فان فى حاضرها تعطشا لتخليد ذلك التراث وجعله موصولا طارفا بتليد ، ولا أنفس لها من معهد ثانوى يكون لها خير عربون للخلود ، واحياء للذكر البورقيبية الخوالد والسلام عليكم ورحمة الله .

● **مجلة قصص :**

صدر العدد 46(أكتوبر 1979) من مجلة قصص (المجلد الحادى عشر) ويحتوى هذا العدد على قصص عديدة للكتاب : نور الدين بن بلقاسم ومحمد الهادى بن صالح وزكرياء شريفي ومحمد الخموسي الحناشي ويحيى محمد وعبد الستار ناصر وبنت البحر وعبد القادر السميخي وحياة بن الشيخ وأبو بكر العيادى وغانم محمد شكرى وعلى العريبى ودليلة الزيتونى وجاء فى هذا العدد باب جديد فتحته المجلة وهو مسرد القصة التونسية وهو عبارة عن قائمات للقصة التونسية المنشورة فى مختلف الصحف والمجلات والمجلة « تحاول أن تكون المرجع الاكمل والاوفى لما صدر فى تونس من أقاصيص ونشر فى مختلف الصحف والمجلات أو ضمن المجموعات » وفى العدد نجد قائمة للاقاصيص التى صدرت ضمن مجلة مرآة الساحل التى صدر منها 32 عددا الاول بتاريخ أفريل 1966 والاخير بتاريخ جانفى/فيفرى/مارس 1974 . كما أننا نجد فى هذا العدد فهرسا تحليليا للمجلد الحادى عشر (1979) وفى هذا العدد أيضا دراسة واحدة لقصص محمد رشاد الحمزاوى للطاهر المناعى .

● **القرآن وفكرة التاريخ :**

فى سلسلة كتاب آتون صدر الكتاب الرابع عن دار آتون بالقاهرة بعنوان القرآن ... وفكرة التاريخ لمحمد عبد الواحد حجازى الذى أهدانا مشكورا هذه النسخة ومحور هذا الكتاب هو تحليل للوعى التاريخى من خلال القرآن اذ أن

الوعى التاريخى من المقومات الاساسية للوجود الحضارى والوجـود الانسانى على حد السواء .

● نداء الخليج :

هذه المجموعة الشعرية الثانية للشاعر الخليجى سالم بن على العويس المولود ببلدة الحيرة الواقعة بين إمارتى الشارقة وعجمان سنة 1887 والمتوفى سنـة 1959 بالشارقة ، وقد قدم لهذه المجموعة حفيده عبد العزيز بن ناصر العويس سفير دولة الامارات العربية المتحدة فى الاردن وقال عنها : « إن البعد القومى والرؤية الثاقبة فى قراءة لمستقبل « تتجلى لدى شاعرنا فى كثير مـن قصائده الناشطة الواردة فى الديوان » .

● حقوق الانسان فى الاسلام :

أصدرت مجلة رابطة العالم الاسلامى عـددا خاصـا بحقـوق الانســان فى الاسلام وجاء فى هذا العدد بقلم رئيس تحرير المجلة ما يلى : « كنا نتمنى أن يخرج هذا العدد الخاص من مجلة رابطة العالم الاسلامى بشكل أكثر شمولا لتحقيق مضمون الفكرة وأكثر جودة لكن لعدة أمـور خارجة عـن ارادتنـا لم نستطع تداركها جاء بهذا الحجم وهذه الكيفية » غير أن هذا العدد جـاء فيمـا يقرب من 180 صفحة من القطع الكبير وعالج موضوعات عديدة تتعلق بحقوق الانسان فى الاسلام سواء فى مجال التربية أو مكافحة التمييـز العـرقى أو الطفولة أو المرأة أو حقوق التأليف والنشر والتوزيع والترجمة وغيرها من الموضوعات العديدة التى تعطى فكرة عما أهمله المسلمون من دينهم ولم يقدروا على ترجمته بلغة العصر والاصداع به فى العالم .

● امسك لسانك :

هذا عنوان مجموعة من الشعر الفكاهى صـدرت بتونس للشاعر المصرى حسين طنطاوى . أهدانا مشكورا منها نسخـة ، وهى ممـا يسمى بالشعـر « الحلمنتيشى » المعروف فى مصر وقدم للمجموعة الاستاذ محمد المرزوقى وأهدى الشاعر المجموعة الى تونس المضيافة قائلا :

« اقرأ ـ فهذا الشعر (حلمنتيش) هو (سكر) فى الطعم ـ زيه مفيش جـد وهــزل ـ حكمـة وفكاهــة الناس تقرؤهـا ولا تشـوفنيش

من مصر جئت (لتونس) وكا مغرم بجمالها لكن ما تعرفنيش
قولوا لها ـ هذا الكتاب هدية مني بلا ثمن ولا بقشيش

فشكرا للطف شاعرنا الذى « هدفه الوحيد » من اصدار هذه المجموعة كما ذكر : هو أن يحصل على ابتسامة القارىء . **وليطمئن شاعرنا الى أن التونسيين سيبتسمون عند قراءة شعره ولاشك . لان الشعب التونسى مبتسم بطبعه ونحن على يقين من أنه سيضحك ولعله سيقهقه .**

فمرحبا بالشاعر حسين طنطاوى بيننا ونتمنى له إقامة طيبة وشعرا فكاهيا « باسما » .

● **بيان من هيئة إتحاد الكتاب التونسيين :**

أصدر إتحاد الكتاب التونسيين إثر أحداث قفصة البيان التالى :

« **إن هيئة** اتحاد الكتاب التونسيين **المجتمعة** فى غرة **فيفرى 1980** ، **اثر العدوان الذى** استهدفت له مدينة قفصة والذى أقدمت عليه **فئة ضالة فقدت** كل مقومات المواطنة والوطنية وسخرها نظام متهور آلى على نفسه بث التفرقة والشقاق فى صفوف الأمة العربية :

ـ **إيمانا منها** بما يمثل هذا العدوان من طعن فى السيادة **التونسية والاعتداء** على كرامة تونس والتونسيين وإحلال الفرقة والشحناء والحرب بين الشعوب محل التآخى والتعاون والسلم .

ـ واعتقادا منها بأن شرف الكاتب ورسالته **يحملانه مسؤولية التعبير عن ضمير الشعب والوقوف معه للذود عن الحرية والكرامة والعدالة .**

ـ تندد هيئة اتحاد الكتاب التونسيين **بكل شدة بهذا العدوان الغادر** وتترحم على أرواح الشهداء **الذين سقطوا ضحية هذه** الجريمة النكراء وتعزى فيهم عائلاتهم .

ـ تؤكد أن سلامة الوطن ومناعته **لا** يتحمل عبئها إلا التونسيون أنفسهم لذلك تهيب الهيئة بكل التونسيين ، **مهما اختلفت** آراؤهم وتعددت مشاربهم أن يقفوا جبهة موحدة صماء لصد كل ما من شأنه أن يهدد الوطن فى سلامته وسيادته وأمنه » .

● **مطبوعات اتحاد الكتاب العرب بسوريا :**

(من سنة 1970 الى سنة 1979)

ـ **قصص** : 57 ـ **شعر** : 78 ـ **روايات** : 33 ـ **دراسات** : 60 ـ **مسرحيات** : 15 ـ **أدب أطفال**: : 21 ـ **والجملة** : 264 عنوان .

أخذت هذه الاحصائيات عن مطبوعة أصدرها اتحاد الكتاب العرب بسوريا. ونحن نهنى هذا الاتحاد على مجهوده الكبير فى ميدان النشر ونتمنى له انجازا أوفـر

● **مجاة العلم والتعليم :**

صدرت مجلة العلم والتعليم التى يديرها الاستاذ أحمد الشرفى فى عددها الواحد والاربعين (س 5) يتضمن ملفا هاما حول التعـريب فى تـونس وفى سوريا وفى العـراق وفى الاردن وفى فلسطيـن وفى م. ع. السعودية وفى اليمن الشمالى .

أما رسالة المجلة فقد جاءت تحت عنوان : لفـائدة مـن ؟.. **عملية انتحارية خاطفة** على مدينة قفصة الآمنة .. تجاوزت فى بعدها كل تصـور . **وتخطت فى** فعلتها كل مجال ... فهل لأجل الوحدة تقع هذه الكارثة ..؟

● **شبحها .. ولعنة الرب ! ؛**

هذا عنوان المجموعة القصصية التى صدرت أخيرا للقصاص الشاب : **محمد الدرويش** فى العدد 7 ـ س 2 ـ من منشورات « **مجلة الاخلاء** » الـتى أسسها ويديرها **الشاعر الصادق شرف** الذى كتب كلمة مدخلية لمجموعة **شبحها** ... ولعنة الرب ! جاء فيها بالخصوص قوله : إن الكاتب محمد الدرويش ينزع الى رفض المعتاد من وراء تجسيمه المهول لاحداث قصصه ، والتصويـر الـدرامى لشخصيات أبطاله ، والا لماذا تكون الطبيعة عنده وحشا يدمر ؟ **ألنبنى نحن** ؟ ولماذا المجتمع عنده ملعون ؟ ألنبحث نحن عن مفاتيح الرحمة فى الطرف المقابل من المعادلة ؟

والملاحظ أن هذه المجموعة هى ثانى إصدار تقدم عليه « مجلة الأخلاء » بعد ان كانت أصدرت مجموعة « أمتاز عليك بأحزانى » للشاعر يوسف رزوقه . فى عددها الخامس وذلك منذ أربعة أشهر .

نتمنى للأخلاء مواصلة الطريق لتشجيع الكتاب الشبان واعانتهم على نشر انتاجهم مجموعا فى مثل هذه الكتيبات وان كانت صغيرة الحجم فهى أنيقة الطباعة ومشجعة .

● **الصحافة الغربية تشن هجوما على الاسلام والمسلمين :**

صدر العدد 2 ، س 12 ، من مجلة « جوهـر الاسـلام » مهتمة بالعديد من مواضيع الساعة فى هذه الظروف التى يمر بها العـالم الاسـلامى ، ومن هذه المواضيع : الصحافة الغربية تشن هجوما على الاسلام والمسلمين ، هل حقـق مؤتمر السيرة ما ينتظره منه المسلمون ، افغانستان جرح فى الجسم الاسلامى هل يسكت عنه المسلمون ؟ كما نشرت المجلة عدة مواضيع حول ذكرى مرور ثلاثة عشر قرنا على تأسيس جامع الزيتونة .

● **نحن والمادة :**

الجزء الخامس من سلسلة كتاب : آفاق المعرفة للاستاذ أحمد الفـانى وقد جاء هذه المرة تحت عنوان : نحن والمادة . ويتعرض هذا الجزء الى وظائف السمع والبصر والى تأثير الحسيات عليها ، كما يوضح ما وصل اليه العلم الحديث فى مجال النور والالوان واكتشاف الذرة .

وهذا الكتاب صدر عن الدار التونسية للنشر 1979 .

● **حروف تجر الفعل الماضى :**

هذا عنوان المجموعة الشعرية الثالثة التى أصدرها أخيرا الشاعـر الصادق شرف (أبو وجدان) فى نفس الحجم الذى صدرت به من قبل مجموعتا «شواطىء العطش» و «الحب .. مع تأجيل التنفيذ !» . وقد كتب الاستاذ البشير بن سلامة مدخلا لهذه المجموعة جاء فيه حول مواكبته لمسار الشاعر عن كثب قوله : « لقد عرفت الشاعر الصادق شرف منذ سنوات عديدة ، وتتبعت خطواته فى مجال الشعر عندما كان ينشر قصائده على صفحات مجلة الفكر وغيرها من الدوريات والجرائد ، فألفيت فيه الشاعر الذى عانى باطنيا قضية الشعـر العـربى فى أطوارها المختلفة وعاشها بكل جوارحه وكيانه ، وأكاد أقول : إنـه يحمـل الشعر العربى على اكتافه عبئا ثقيلا ، فكـل قصيدة تبرز الى الوجـود ليست الا قطعة من هذا الحمل تنزاح عنه لنشاركه فى هذه الكيمياء من الالفاظ التى

كثيرا ما توحي ، وتريد أن توحي ، لتفصح بالقدر الذى يستقيم به المعنى ويتم الغرض ... »

هذا وقد قام الشاعر برسم صورة الغلاف بنفسه كما نشر المجموعة على نفقته . نتمنى له التواصل واطراد التوفيق خدمة للشعر التونسى خاصة والعربى عامة .

● **محمد الشرفي الصفاقسي يصدر له ديوان :**

قام الاستاذ محمد محفوظ بتحقيق وتقديم ديوان الشاعر محمد الشرفي الصفاقسي المتوفى سنة 1157 هـ / 1743 م . وقد **شجعت اللجنة الثقافية** الجهوية بصفاقس هذا المحقق وتبنت نشر ديوان محمد الشرفي . وقد صدر أخيرا عن الدار التونسية للنشر سنة 1979 .

ومما يلفت الانتباه ، هذا التعاون بين صاحب التحقيق والتقديم **وبين اللجنة** الثقافية الجهوية بصفاقس . ويا حبذا لو تنسج اللجان الثقافية على هذا المنوال خدمة للثقافة فى بلادنا واحياء لتراثنا الجهوى المغمور .